

القسم الثاني
فِي شَذَرَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ أَقْوَالِ الْكُتَّابِ
وَفِيهِ فُصُولٌ

فَضْلٌ

فِي حُسْنِ التَّوَاصُلِ

كَتَبَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ ^(١) إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ
كَتَبْتُ أَعَزَّكَ اللَّهُ عَنْ ضَمِيرِ انْدَمَجَ عَلَى سِرِّ اعْتِقَادِكَ دُرَّةً وَتَبَلَّجَ
فِي أَفْقٍ وَدَايِكَ بَدْرُهُ وَسَالَ عَلَى صَفَحَاتِ ثَنَائِكَ مِسْكُهُ وَصَارَ فِي
رَاحَتِي سَنَائِكَ مِلْكُهُ وَلَمَّا ظَفِرْتُ بِفُلَانٍ حَمَلْتُهُ مِنْ تَحِيَّتِي زَهْرًا
جَنِينًا يُؤَافِيكَ عَرْفُهُ ذَكِيًّا وَيُؤَالِيكَ أَنْسُهُ نَجِيًّا وَيَقْضِي مِنْ حَقِّكَ

(١) هو محمد بن طاهر الأندلسي أبو عبد الرحمن من أكابر الكتاب بالأندلس
ولي الظالم في دولة المعتمد بن عباد وتقدم به أدبه. ثم نكب وحبس في "منق
قوط" فشفع فيه صاحب بلنسية "الوزير الأجل أبو بكر بن عبد العزيز" فأطلقه
المعتمد فركب إلى بلنسية فأشركه ابن عبد العزيز في أمره وداهمها الإفرنج فأسر ثم
أطلق فاستقر في شاطبة إلى أن خرج العدو من بلنسية فعاد إليها وتوفي بها سنة
٥٠٧ هـ عن نيف و ٩٠ عامًا ودفن بمرسية.

انظر المزيد في: قلائد العقيان ٥٧.

فَرَضًا مَاتِيًّا عَلَى أَنَّ شَخْصَ جَلَالِكَ لِي مَائِلٌ وَبَيْنَ ضُلُوعِي نَازِلٌ
لَا يَمْلَهُ خَاطِرٌ وَلَا يَمْسُهُ عَرَضٌ دَائِرٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وكتب أبو الفضل بن العميد^(١) إلى بعض إخوانه

قَدْ قَرُبَ أَيْدِكَ اللَّهُ مَحَلُّكَ عَلَى تَرَاحِيهِ وَتَصَاقِبِ مُسْتَقَرِّكَ عَلَى
تَنَائِيهِ لِأَنَّ الشَّوْقَ يُمَثِّلُكَ وَالذِّكْرَ يُخَيِّلُكَ فَنَحْنُ فِي الظَّاهِرِ عَلَى
افْتِرَاقٍ وَفِي الْبَاطِنِ عَلَى تَلَاقٍ وَفِي التَّسْمِيَةِ مُتَبَايِنُونَ وَفِي الْمَعْنَى
مُتَوَاصِلُونَ وَلَئِنْ تَفَارَقَتِ الْأَشْبَاحُ لَقَدْ تَعَانَقَتِ الْأَرْوَاحُ.

(١) هو محمد بن الحسين العميد بن محمد أبو الفضل وزير من أئمة الكتاب.
كان متوسِّعاً في علوم الفللفة والنجوم، ولقب بالجاحظ الثاني في أدبه وترسله.
قال الثعالبي: بدئت الكتابة بعبد الحميد. وختمت بآبن العميد. ولي الوزارة لركن
الدولة البويهى وكان حسن السياسة خبيراً بتدبير الملك كريماً ممدوحاً قصده
جماعة من الشعراء فأجازهم ومدحه المتنبي فوهبه ثلاثة آلاف دينار. له "مجموع
رسائل" في مجلد ضخيم، وشعر رقيق. قال ابن الأثير: كان أبو القضل من محاسن
الدنيا، اجتمع فيه ما لم يجتمع فى غيره من حسن التدبير وسياسة الملك والكتابة
التي أتى فيها بكل بديع، مع حسن خلق ولبين عشرة وشجاعة تامة ومعرفة بأمر
الحرب والمحاضرات، وبه تخرج عضد الدولة البويهى ومنه تعلم سياسة الملك
ومحبة العلم والعلماء. وكانت وزارته أربعاً وعشرين سنة. وعاش نيفاً وستين ومات
بهمذان سنة ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م.

انظر الزيد فى: يتيمة الدهر ٣/ ٢، الكامل ٥/ ١٠٥، الوفيات ٢/ ٥٧،
معاهد التنصيص ٢/ ١١٥، تحفة الأمراء ٤٧، أمراء البيان ٥٤٦ - ٥٧٠، الامتاع
والمؤانسة ١/ ٦٦، تجارب الأمم ٦/ ٢٧٤ - ٢٨٢.

وَكَتَبَ بَدِيعُ الزَّمَانِ الهمذانيُّ إلى القاسمِ الكرجيِّ
يَعِزُّ عَلَيَّ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَنْ يَنْوُبَ فِي خِدْمَتِهِ
قَلْبِي عَنْ قَدَمِي وَيَسْعَدَ بِرُؤْيَيْهِ رَسُولِي دُونَ وَصُولِي وَيَرِدَ مَشْرَعَةَ
الْأَنْسِ بِهِ كِتَابِي قَبْلَ رِكَابِي وَلَكِنْ مَا الْخَيْلَةُ وَالْعَوَائِقُ جَمَّةٌ.
وَعَلَيَّ أَنْ أَسْعَى وَلَيْسَ عَلَيَّ إِدْرَاكُ النَّجَاحِ
وَقَدْ حَضَرْتُ دَارَهُ وَقَبِلْتُ جِدَارَهُ وَمَا بِي حُبِّ الْخَيْطَانِ وَلَكِنْ
شَغَفًا بِالْقَطَّانِ وَلَا عَشْقُ الْجُدْرَانِ وَلَكِنْ شَوْقًا إِلَى السُّكَّانِ وَحِينَ
عَدَّتِ الْعَوَادِي عَنْهُ أَمَلَيْتُ ضَمِيرَ الشُّوقِ عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ مُعْتَذِرًا
إِلَى الشَّيْخِ عَلَى الْحَقِيقَةِ عَنْ تَقْصِيرِ وَقَعٍ وَفُتُورٍ فِي الْخِدْمَةِ عَرَضَ
وَلَكِنِّي أَقُولُ إِنْ يَكُنْ تَرْكِي لِقَصْدِكَ ذَنْبًا فَكَفَى أَنْ لَا أَرَكَ عِقَابًا.
وَكَتَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ الْبَطْلِيُّوسِي إِلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ
الْأَخْضَرِ^(١).

(١) هو عبد الله بن محمد بن السيد أبو محمد من العلماء باللغة والأدب. ولد سنة
٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م ونشأ بطليوس (Bpdakoz) في الأندلس. وانتقل إلى بلنسية فسكنها
وتوفي بها سنة ٥٢١ هـ / ١١٢٧ م من كتبه "الافتقاص في شرح أدب الكتاب لابن
قتيبة" و "المسائل والأجوبة" و "الإنصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت
الاختلاف بين المسلمين في أرائهم" و "الحدائق في الدين" و "المثلث" في اللغة
كمثلثات قطرب، و "شرح سقط الزند للمعري" و "الحلل في شرح أبيات الجمل"
و "الحلل في أغاليط الجمل" و "شرح الموطأ" وغير ذلك.
انظر المزيد في: بغية الملتبس ٣٢٤، الصلة ٢٨٧، قلائد العقيان ١٩٣، وفيات =

يَا سَيِّدِي الْأَعْلَى وَعِمَادِي الْأَسْنَى وَحَبَّتَةَ الدَّهْرِ الْحُسْنَى
الَّذِي جَلَّ قَدْرُهُ وَسَارَ مَسِيرَ الشُّمُسِ ذِكْرُهُ وَمَنْ أَطَالَ اللَّهُ
بَقَاءَهُ لِفَضْلِ يُعْلَى مَنَارَةٍ وَعِلْمٍ يُحْيِي آثَارَهُ نَحْنُ أَعَزُّكَ اللَّهُ
نَتَدَانِي إِخْلَاصًا وَإِنْ تَنَاءَيْنَا أَشْخَاصًا وَيَجْمَعُنَا الْأَدَبُ وَإِنْ
فَرَقْنَا النَّسَبَ فَلَا شَكَالَ أَقَارِبُ وَالْآذَابُ مَنَاسِبُ وَلَيْسَ يَضُرُّ
تَنَاءِي الْأَشْبَاحِ إِذَا تَقَارَبَتِ الْأَرْوَاحُ وَمَا مَثَلْنَا فِي هَذَا الْإِنْتِظَامِ
إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو تَمَامٍ:

نَسِيبِي فِي رَأْيِي وَعِلْمِي وَمَذْهَبِي
وَإِنْ بَاعَدْتَنَا فِي الْأَصُولِ الْمَنَاسِبُ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِمَا ثَرَكَ ذَاكِرُ وَلِفَاحِرِكَ نَاشِرُ إِلَّا ذُو الْوَزَارَتَيْنِ
أَبُو فُلَانٍ أَبَقَاهُ اللَّهُ لِقَامَ لَكَ مَقَامَ سَحْبَانَ وَائِلٍ وَأَغْنَاكَ عَنْ قَوْلِ
كُلِّ قَائِلٍ فَإِنَّهُ يَمُدُّ فِي مِضْمَارِ ذِكْرِكَ بَاعَا رَحِيبًا وَيَقُومُ بِفَخْرِكَ
فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيبًا حَتَّى يَثْنِي إِلَيْكَ الْأَحْدَاقَ وَيَلْوِي نَحْوَكَ
الْأَعْنَاقَ فَكَيْفَ وَمَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتَ سَعْدُ وَمَا تَقَرَّرَ فِي
النَّفُوسِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ فَذِكْرُكَ قَدْ أَنْجَدَ وَأَغَارَ وَلَمْ يَسِرْ فَلَكَ
مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ فَذِكْرُكَ قَدْ أَنْجَدَ وَأَغَارَ وَلَمْ يَسِرْ فَلَكَ حَيْثُ

= الأعيان ١/ ٢٦٥، أزهار الرياض ٣/ ١٠١ - ١٤٩، البداية والنهاية ١٢/ ١٩٨.

سَارَ وَإِنْ لَيْلَ جَهْلٍ أَطْلَعْتَ فِيهِ فَجَرَ تَبْصِيرِكَ لَجَدِيرٌ بَأَنْ يَصِيرَ
 نَهَارًا وَإِنْ نَبَعَ فِكْرَ قَدْخَتِهِ بِتَذْكِيرِكَ لَجَدِيرٌ بَأَنْ يَعُودَ مَرْخًا
 وَعَفَارًا فَهَنِيءًا لَكَ الْفَضْلُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ رَاسِخُ الْقَدَمِ سَامِخُ الْعِلْمِ
 مَنَشُورُ اللُّوَاءِ مَشْهُورُ الذِّكَارِ مُلِيَّتِ الْأَدَابُ عُمْرَكَ وَلَا عَدِمَتْ
 الْأَلْبَابُ ذِكْرَكَ وَرَقِيتَ مِنَ الْمُرَاتِبِ أَعْلَاهَا وَلَقِيتَ مِنَ الْمَلَارِبِ
 أَقْصَاهَا بِفَضْلِ اللَّهِ.

وكتب أبو بكر الخوارزمي^(١) إلى أبي الوفاء صاحب جيش

(١) هو محمد بن العباس الخوارزمي أبو بكر من أئمة الكتاب وأحد الشعراء
 العلماء كان ثقة في اللغة ومعرفة الأنساب وهو صاحب الرسائل المعروف برسائل
 الخوارزمي. وله "ديوان شعر" ولد سنة ٣٢٣هـ / ٩٣٥م. ونشأ في خوارزم ورحل
 في صباه إلى بعض البلدان فدخل سجستان ومدح واليها طاهر بن محمد ثم هجاه
 فحبسه وانطلق فتابع رحلته، وأقام في دمشق مدة ثم سكن في نواحي حلب.
 وانتقل إلى نيسابور فاستوطنها واتصل بالصاحب بن عباد وتوفي بها سنة ٣٨٣هـ /
 ٩٩٣م وكانت بينه وبين البديع الهمذاني محاورات وعجائب نقل بعضها ياقوت
 الحموي في معجم الأدباء وأورده ابن خلكان والثعالبي طائفة من أشعاره وأخباره
 وكان يقال له "الطبري" لأنه ابن أخت محمد بن جرير الطبري كما يقال له
 "الطبرخزي" و "الطبرخمي" لأنه أمه من طبرستان وأباه من خوارزم فركب له
 من الأسمين نسبة.

انظر المزيد في: معجم الأدباء، الوفيات ١/ ٤٢٣، اللباب ١/ ٣٩١، بغية
 الوعاة ٥١، الوفي بالوفيات ٣/ ١٩١، يتيمة الدهر ٤/ ١١ - ١٦٠.

عَضِدُ الدَّوْلَةِ^(١).

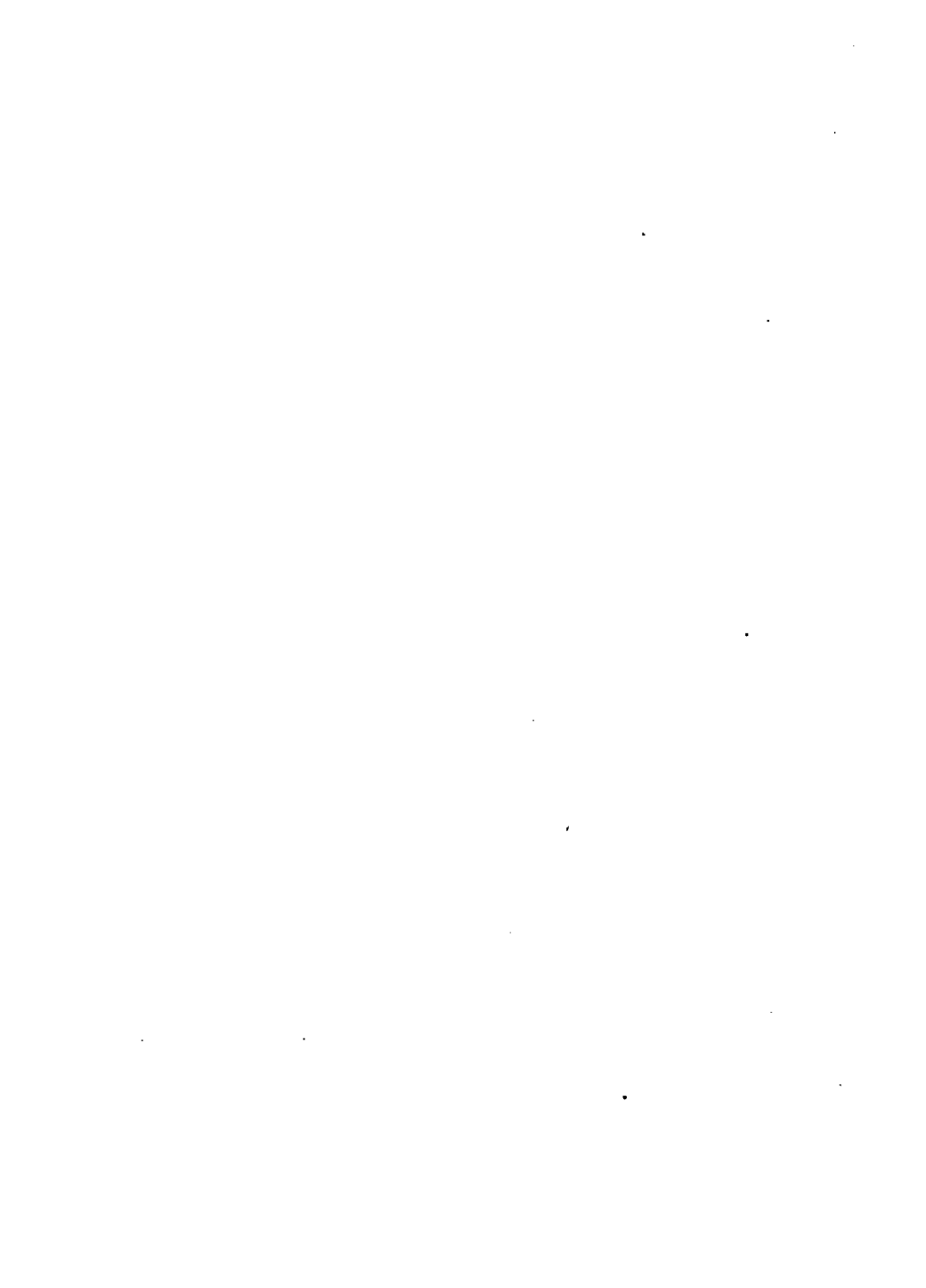
كِتَابِي وَأَنَا بِمَا يَبْلُغُنِي مِنْ صَالِحِ أَخْبَارِ الشَّيْخِ مُعْتَبِطٌ مَسْرُورٌ
وَبِمَا يَعْرِفُهُ الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ مِنْ اِعْتِصَادِي بِهِ مَصُونٌ مُؤَفَّرٌ وَاللَّهُ عَلَى
الْأَوَّلَى مَحْمُودٌ وَعَلَى الْآخَرَى مَشْكُورٌ اَلَّتَطَفُّلُ وَإِنْ كَانَ مَحْظُورًا
فِي غَيْرِ مَوَاطِنِهِ فَإِنَّهُ مُبَاحٌ فِي أَمَاكِنِهِ وَهُوَ وَإِنْ كَانَ فِي بَعْضِ
الْأَحْوَالِ يَجْمَعُ عَارًا وَوَرَرًا فَإِنَّهُ فِي بَعْضِهَا يَجْمَعُ فَخْرًا وَذُخْرًا

(١) هو فناخسرو الملقب عضد الدولة بن الحسن الملقب ركن الدولة بن بويه
الديلمي أبو شجاع أحد المتغلبين على الملك في عهد الدولة العباسية بالعراق. تولى
ملك فارس ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة، وهو أول من خطب له على المنابر بعد
ال خليفة وأول من لقب في الإسلام "شاهنشاه" قال الزمخشري في ربيع الأبرار
"وصف رجل عضد الدولة فقال: وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسان وصدر
فيه ألف قلب" كان شديد الهيبة جبارًا عسوفًا، أدبياً، عالماً بالعربية ينظم الشعر،
نعتة الذهبى بالنحوى، وصنف له أبو على الفارسى "الإيضاح" و"التكملة".
كما صنف له أبو إسحاق الصابى "كتاب التاجى" فى أخبار بنى بويه ولقبه
بتاج الملة ومدحه فحول الشعراء كالمتنبى والاسلامى وكان شيعياً. قال الذهبى:
أظهر بالنجف قبراً زعم أنه قبر الإمام على رضى الله عنه وبنى عليه المشهد وأقام
مأتم عاشوراء. وكان كثير العمران، أنشأ ببغداد البيمارستان العضدى وعمر القناطر
والجسور، وبنى سوراً حول مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، أخباره كثيرة
متفرقة. مات سنة ٣٧٢هـ: ٩٨٣ م وكان مولوده سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٦ م.

انظر المزيد فى: بغية الوعاة ٣٧٤، تاريخ ابن الوردى ١/ ٣٠٥، وفيات الأعيان
١/ ٤١٦، البداية والنهاية ١١/ ٢٩٩، مرآة الجنان ٢/ ٣٩٨، يتيمة الدهر ٢/ ٢.

وَرُبَّ فِعْلٍ يُصَابُ بِهِ وَقْتُهُ فَيَكُونُ سُنَّةً وَهُوَ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ بِدَعَا
وَقَدْ تَطَفَّلْتُ عَلَى الشَّنَجِ بِهَذِهِ الْأَحْرَفِ أَخْطَبُ بِهَا مَوَدَّتَهُ إِلَيْهِ
وَأَعْرِضُ فِيهَا مَوَدَّتِي عَلَيْهِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَرْسُمَ لِي فِي لِسَانِي وَقَلْبِي
رَسْمًا وَيَخْتِمَ عَلَيْهِمَا خَتْمًا فَقَدْ جَعَلْتُهُمَا بِاسْمِهِ وَقَصَرْتُهُمَا عَلَى
حُكْمِهِ وَسَأَضَعُهُمَا تَحْتَ خَتَمِهِ وَبَرِئْتُ إِلَيْهِ مِنْهُمَا وَصِرْتُ وَكِيلُهُ
فِيهِمَا فَهُمَا عَلَى غَيْرِهِ جَمِئٌ لَا يُقَرَّبُ وَبِجِيرَةٍ لَا تُحْلَبُ وَلَا تُرْكَبُ
وَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى آثَارِ الشَّيْخِ عَلَى الْأَحْرَارِ وَنَشَرْتُ طِرَازَ مَحَاسِنِهِ مِنْ
أَيْدِي الْقَاصِدِينَ وَالزُّوَارِ وَرَأَيْتُ نَفْسِي غُفْلًا مِنْ مَوَدَّتِهِ وَعُطْلًا مِنْ
جَمَالِ عِشْرَتِهِ حَمِيَّتُهَا مِنْ أَنْ يُحْمَى عَلَيْهَا وَرَدُّ مَوْرُودٍ وَيُخْسَرُ
عَنْهَا ظِلٌّ عَلَى الْجَمِيعِ مَمْدُودٌ وَعَجِبْتُ مِنْ:

سَحَابٍ خَطَانِي جُودُهُ وَهُوَ صَيِّبٌ
وَبَحْرٍ عَدَانِي سَيْلُهُ وَهُوَ مُفْعَمٌ
وَبَدْرٍ أَضَاءَ الْأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
وَمَوْضِعُ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلِمٌ



فَضْلٌ

فِي الْأَسْتَغْطَافِ وَالْإِعْتِذَارِ

كتب عمرو بن بحر الجاحظ إلى ابن أبي دؤاد^(١).

لَيْسَ عِنْدِي أَعْرَكَ اللَّهُ سَبَبٌ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى شَفِيعٍ إِلَّا مَا طَبَعَكَ
اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْكَرَمِ وَالرَّحْمَةِ وَالْتَّامِيلِ الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ نِتَاجِ
حُسْنِ الظَّنِّ وَإِثْبَاتِ الْفَضْلِ بِحَالِ الْمَأْمُولِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْعُتَقَاءِ الشَّاكِرِينَ فَتَكُونَ خَيْرَ مُعْتَبٍ وَأَكُونَ أَفْضَلَ شَاكِرٍ. وَلَعَلَّ
اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْأَمْرَ سَبَبًا لِهَذَا الْإِنْعَامِ وَهَذَا الْإِنْعَامَ سَبَبًا

(١) هو أحمد بن أبي داود بن جرير بن مالك الإيادي أبو عبد الله أحد القضاة
المشهورين من المعتزلة ورأس فتنة القول بخلق القرآن، قدم به أبوه وهو حدث
من قنسرين "بين حلب ومعرة النعمان" إلى دمشق فنشأ فيها ونبغ ومنها رحل
إلى العراق وقيل ولد بالبصرة سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٧ م قال أبو العيناء: ما رأيت
رئيساً قط أفصح ولا أنطق من أبي داود، وهو أول من افتتح الكلام مع الخلفاء،
وكانوا لا يبداهم أحد حتى يبداهه. وكان عارفاً بالأخبار والأنساب مات سنة
٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م.

انظر المزيد في: وفيات الأعيان ١ / ٢٢، تاريخ بغداد ٤ / ١٤ - ١٥٦، البداية
والنهاية ١٠ / ٣١٩، النجوم الزاهرة ٢ / ٣٠٠ - ٣٠٢، لسان الميزان ١، ١٧١،
ثمار القلوب ١٦٣.

لِلْإِنْقِطَاعِ إِلَيْكُمْ وَالْكَوْنِ تَحْتَ أَجْنِحَتِكُمْ فَيَكُونُ لَا أَعْظَمَ بَرَكَهَ
وَلَا أَنْمَى بَقِيَّةً مِنْ ذَنْبٍ أَصْبَحْتُ فِيهِ وَبِمِثْلِكَ جُعِلْتُ فِذَاكَ عَادَ
الذَّنْبُ وَسَيْلَةً وَالسَّيِّئَةُ حَسَنَةً وَمِثْلَكَ مَنْ انْقَلَبَ بِهِ الشَّرُّ خَيْرًا
وَالْعُزْمُ غَنَمًا. مَنْ عَاقَبَ فَقَدْ أَخَذَ حَظَّهُ وَإِنَّمَا الْأَجْرُ فِي الْآخِرَةِ
وَطَيْبُ الذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا عَلَى قَدَرِ الْإِحْتِمَالِ تَجَرُّعُ الْمَرَارِ وَأَرْجُو
أَنْ لَا أَضِيعَ وَأَهْلِكَ فِيمَا بَيْنَ كَرَمِكَ وَعَقْلِكَ. وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَعْفُو
عَنْ صَغَرِ ذَنْبِهِ وَعَظُمِ حَقِّهِ وَإِنَّمَا الْفَضْلُ وَالثَنَاءُ الْعَفْوُ عَنْ عَظِيمِ
الْجُرْمِ ضَعِيفُ الْحُرْمَةِ وَإِنْ كَانَ الْعَفْوُ الْعَظِيمُ مُسْتَطَرَفًا مِنْ غَيْرِكُمْ
فَهُوَ تِلَادٌ فِيكُمْ حَتَّى رُبَّمَا دَعَا ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ إِلَى مُخَالَفَةِ
أَمْرِكُمْ فَلَا أَنْتُمْ عَنْ ذَلِكَ تَنْكُلُونَ وَلَا عَلَى سَالِفِ إِحْسَانِكُمْ تَنْدُمُونَ
وَلَا مِثْلُكُمْ إِلَّا كَمَثَلِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حِينَ كَانَ لَا يَمُرُّ بِمَلَأَةٍ مِنْ
بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا أَسْمَعُوهُ شَرًّا وَأَسْمَعْتَهُمْ خَيْرًا فَقَالَ لَهُ شِمْعُونُ
الصَّفَا مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ كُلَّمَا أَسْمَعُوكَ شَرًّا أَسْمَعْتَهُمْ خَيْرًا. فَقَالَ
كُلُّ امْرِئٍ يُنْفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ وَلَيْسَ عِنْدَكُمْ إِلَّا الْخَيْرُ وَلَا فِي أَوْعِيَتِكُمْ
إِلَّا الرَّحْمَةُ وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضِجُ.

وكتب إلى رجلٍ

زَيْنَكَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى وَكَفَاكَ مَا أَهَمَّكَ مِنَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى. مَنْ عَاقَبَ
أَبْقَاكَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الصَّغِيرَةِ عُقُوبَةً الْكَبِيرَةِ وَعَلَى الْهَفْوَةِ عُقُوبَةً

الإِضْرَارِ فَقَدْ تَنَاهَى فِي الظُّلْمِ وَمَنْ لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي
 وَالْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي فَقَ قَصْرَ. وَاللَّهُ لَبَقْدَ كُنْتُ أَكْرَهُ سَرْفَ الرُّضَى
 مَخَافَةَ أَنْ يُؤَدَّى إِلَى سَرْفِ الْهَوَى فَمَا ظَنُّكَ بِسَرْفِ الْغَيْظِ وَعَلَبَةِ
 الْغَضَبِ مِنْ طِيَاشِ عَجُولِ فَحَاشَ وَمَعَهُ مِنَ الْخُرْقِ بِقَدَرِ قِسْطِهِ مِنَ
 التَّهَابِ الْحَمْرَاءِ وَأَنْتَ رُوحٌ كَمَا أَنْتَ جِسْمٌ وَكَذَلِكَ جِنْسُكَ وَنَوْعُكَ
 إِلَّا أَنَّ التَّأَثُّرَ فِي الرِّقَاقِ اسْرِعُ وَضُدَّهُ فِي الْغِلَاطِ الْجُفَاةِ أَكْمَلُ
 وَلِذَلِكَ اشْتَدَّ جَزَعِي عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانِ الْغَيْظِ وَعَلَبَتِهِ. فَإِذَا أَرَدْتَ
 أَنْ تَعْرِفَ مِقْدَارَ الذَّنْبِ إِلَيْكَ مِنْ مِقْدَارِ عِقَابِكَ عَلَيْهِ فَانْظُرْ فِي
 عَلَيْهِ وَفِي سَبَبِ إِخْرَاجِهِ إِلَى مَعْدِنِهِ الَّذِي مِنْهُ نَجَمَ وَعُشُهُ الَّذِي
 مِنْهُ دَرَجٌ وَإِلَى جِهَةِ صَاحِبِهِ فِي التَّسْرِعِ وَالثَّبَاتِ وَإِلَى حِلْمِهِ عِنْدَ
 التَّعْرِيزِ وَقُطْنَتِهِ عِنْدَ التَّوْبَةِ. فَكُلُّ ذَنْبٍ كَانَ سَبَبُهُ ضَيِّقَ صَدْرٍ مِنْ
 جِهَةِ الْفَيْضِ فِي الْمَقَادِيرِ أَوْ مِنْ طَرِيقِ الْأَنْفَةِ وَعَلَبَةِ طِبَاعِ الْحُمِيَّةِ
 مِنْ جِهَةِ الْجَفْوَةِ أَوْ مِنْ جِهَةِ اسْتِحْقَاقِهِ أَوْ كَانَ مُبْلَغًا عَنْهُ مَكْذُوبًا
 عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا فِيهِ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ مِنْهُ فَإِذَا كَانَتْ ذُنُوبُهُ مِنْ
 هَذَا الشَّكْلِ فَلَيْسَ يَقِفُ عَلَيْهَا كَرِيمٌ وَلَا يَنْظُرُ فِيهَا حَلِيمٌ. وَلَسْتُ
 أَسْمِيَهُ بِكَثْرَةِ مَعْرُوفِهِ كَرِيمًا حَتَّى يَكُونَ عَقْلُهُ غَامِرًا بِعِلْمِهِ وَعِلْمُهُ
 غَالِبًا عَلَى طِبَاعِهِ كَمَا أَسْمَمِيَهُ بِكَفِّ الْعِقَابِ حَلِيمًا حَتَّى يَكُونَ
 عَارِفًا بِمِقْدَارِ مَا أَخَذَ وَتَرَكَ. وَمَتَى وَجَدْتَ الذَّنْبَ بَعْدَ ذَلِكَ لَا

سَبَبَ لَهُ إِلَّا الْبُغْضُ الْمَحْضُ وَالنَّفَارُ الْغَالِبُ فَلَوْ لَمْ تَرْضَ لِصَاحِبِهِ
بِعِقَابِ دُونَ قَعْرِ جَهَنَّمَ لَعَذَرَكَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُقَلَاءِ وَصَوَّبَ رَأْيَكَ عَالَمٌ
مِنَ الْأَشْرَافِ. وَالْأَنَاءَةُ أَقْرَبُ مِنَ الْحَمْدِ وَأَبْعَدُ مِنَ الذَّمِّ وَأَنَّى مِنْ
خَوْفِ الْعَجَلَةِ وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ عَلَيْكَ بِالْأَنَاءَةِ فَإِنَّكَ عَلَى إِيقَاعِ مَا لَمْ
تُوقِعْهُ أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى رَدِّ مَا قَدْ أَوْقَعْتَهُ. وَلَيْسَ يُصَارِعُ الْغَضَبَ أَيَّامَ
شَبَابِهِ شَيْءٌ إِلَّا صَرَخَهُ وَلَا يُنَازِعُهُ قَبْلَ انْتِهَائِهِ إِلَّا قَهْرُهُ وَإِنْضِمَّا
يُحْتَالُ لَهُ قَبْلَ هَيْجِهِ فَمَتَى تَمَكَّنَ وَاسْتَفْحَلَ وَأَذْكَى تَارَهُ وَأَشْعَلَ
ثُمَّ لَاقَى مِنْ صَاحِبِهِ قُدْرَةً وَمِنْ أَعْوَانِهِ سَمْعًا وَطَاعَةً فَلَوْ اسْتَبَطَّنَتْهُ
بِالتَّوَرَةِ وَأَوْجَرَتْهُ بِالْإِنْجِيلِ وَلَدَدَّتْهُ بِالزُّبُورِ وَأَفْرَغَتْ عَلَى رَأْسِهِ
الْقُرْآنَ إِفْرَاقًا وَأَتَيْتُهُ بِآدَمَ شَفِيعًا لَمَّا أَقْصَرَ دُونَ أَقْصَى قُوَّتِهِ وَلَنْ
يُسْكِنَ غَضَبَ الْعَبْدِ إِلَّا ذِكْرُهُ غَضَبَ الرَّبِّ. فَلَا تَقِفْ حَفِظَكَ اللَّهُ
بَعْدَ مُضِيِّكَ فِي عِتَابِي التَّمَسُّا لِلْعَفْوِ عَنِّي وَلَا تُقْصِرْ عَنِ إِفْرَاطٍ مِنْ
طَرِيقِ الرَّحْمَةِ بِي وَلَكِنْ قِفْ وَقِفَةً مَنْ يَتَّهِمُ الْغَضَبَ عَلَى عَقْلِهِ
وَالشَّيْطَانَ عَلَى دِينِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ لِلْكَرَمِ اِعْدَاءَ وَيُمْسِكُ إِمْسَاكَ مَنْ
لَا يُبْرِئُ نَفْسَهُ مِنَ الْهَوَى وَلَا يُبْرِئُ الْهَوَى مِنَ الْخَطَايَا وَلَا تُنْكِرْ
لِنَفْسِكَ أَنْ تَزِلَّ وَلِعَقْلِكَ أَنْ يَهْفُو فَقَدْ زَلَّ آدَمُ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَقَدْ خَلَقَهُ بِيَدِهِ. وَلَسْتُ أَسْأَلُكَ إِلَّا رَيْثَمَا تَسْكُنُ نَفْسُكَ وَيَزِيدُ إِلَيْكَ
زِينَتَكَ وَتَرَى الْجِلْمَ وَمَا يَجْلُبُ مِنَ السَّلَامَةِ وَطِيبِ الْأَحْدُوثَةِ. وَاللَّهُ

يَعْلَمُ وَكَفَى بِهِ عَلِيمًا لَقَدْ ارَدْتُ أَنْ أَقْدِيكَ بِنَفْسِي فِي مُكَاتِبَاتِي
وَكُنْتُ عِنْدَ نَفْسِي فِي عِدَادِ الْمَوْتَى وَفِي حَيْزِ الْهَلَكَى فَرَأَيْتُ أَنَّ
مِنَ الْخِيَانَةِ لَكَ وَمِنَ اللُّومِ فِي مُعَامَلَتِكَ أَنَّ أَقْدِيكَ بِنَفْسِ مَيِّتِهِ وَإِنْ
أَرَيْكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكَ أَنْفَسَ ذُخْرٍ وَالذُّخْرُ مَعْدُومٌ. وَأَنَا أَقُولُ
كَمَا قَالَ أَخُو ثَقِيفٍ مَوْدَّةُ الْأَخِ التَّالِدِ وَإِنْ أَخْلُقُ خَيْرٌ مِنْ مَوْدَّةِ
الْأَخِ الطَّارِفِ وَإِنْ ظَهَرَتْ مَسَاعِيهِ وَرَاقَتْ جِدَّتُهُ سَلَمَكَ اللَّهُ وَسَلَّم
عَلَيْكَ وَكَانَ لَكَ وَمَعَكَ.

وكتب بعضهم إلى أمير

أَنَا مَنْ لَا يَحَاجُّكَ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا يُعَالِطُكَ فِي جُرْمِهِ وَلَا يَلْتَمِسُ
رِضَاكَ إِلَّا مِنْ جِهَةِ عَفْوِكَ وَلَا يَسْتَغْفُفُكَ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ
وَلَا يَسْتَمِيلُكَ إِلَّا بِالْإِعْتِرَافِ بِالزُّلَّةِ وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ^(١).
مَا أَحْسَنَ الْعَفْوَ مِنَ الْقَادِرِ

لَا سِيِّمًا عَنْ غَيْرِ ذِي نَاصِرٍ

(١) هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي أبو علي
كاتب من الشعراء، كان معاصراً لأبي تمام وله معه أخبار، وكان وجيهاً استكتبه
الخلفاء ومدحه أبو تمام وهو أخو سليمان "وزير المعتز والبهتدي" ولما مات سنة
٢٥٠ هـ / ٨٦٥ م رثاه البحتري.

انظر المزيد في: سمط اللائي ٥٠٦، فواتح الوفيات ١ / ١٣٦.

إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبٌ لِي
فَمَا لَهُ غَيْرَكَ مِنْ غَافِرٍ
أَعُودُ بِالنُّودِ الَّذِي بَيْنَنَا
أَنْ يَفْسُدَ الْأَوَّلُ بِالْآخِرِ

وَكَتَبَ ابْنُ مَكْرَمٍ^(١) إِلَى بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ

نَبَيْتُ بِي غِرَّةَ الْحَدَاثَةِ فَرَدَّتْنِي إِلَيْكَ التَّجَرِبَةُ وَقَادَتْنِي الضَّرُورَةُ
ثِقَةً بِإِسْرَاعِكَ إِلَيَّ وَإِنْ أَبْطَأْتُ عَنْكَ وَقَبُولِكَ لِعُذْرِي وَإِنْ قَصُرْتُ
عَنْ وَاجِبِكَ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبُوبِي سَدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكَ الصَّفْحِ عَنِّي
فَرَاجِعُ فِي مَجْدِكَ وَسُودْدِكَ وَإِنِّي لَا أَعْرِفُ مَوْقِعًا أَذِلُّ مِنْ مَوْقِفِي
لَوْلَا أَنَّ الْمُخَاطَبَةَ فِيهِ لَكَ لَا خُطَّةً أَذْنًا مِنْ خُطْئِي لَوْلَا أَنَّهَا فِي
طَلَبِ رِضَاكَ.

وَكَتَبَ أَبُو بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيُّ إِلَى عَلِيِّ الْبَعْلِيِّ لَمَّا طَالَ عَتَابُهُ
وَكَثُرَتْ رِقَاعُهُ إِلَيْهِ:

لَوْ بَغِیْرِ الْمَاءِ خَلَقْنِي شَرْقُ
كُنْتُ كَالْغَصَانِ بِالْمَاءِ اعْتَصَارِي

(١) هو علي بن الحسين بن مكرم أبو القاسم ناصر الدين، مؤيد الدولة ابن ناصر الدولة من ملوك عمان. كان جواداً مدحه مهيار الديلمي.

كَيْفَ يَقْدِرُ أَبْقَى اللَّهِ الشَّيْخَ عَلَى الدَّوَاءِ مِنْ لَا يَهْتَدِي إِلَى أَوْجِهِ
السَّاءِ وَكَيْفَ يُدَارِي أَعْدَاءَهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْأَصْدِقَاءَ مِنَ الْأَعْدَاءِ
وَكَيفَ يُعَالِجُ عِلَّةَ الْقَرْحَةِ الْعَمِيَاءِ أَمْ كَيْفَ يَسْرِى بِلَا دَلِيلٍ فِي
الظُّلُمَاءِ أَمْ كَيْفَ يَخْرُجُ الْهَارِبُ مِنْ بَيْنِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ. الْكَرِيمُ
أَيَّدَ اللَّهُ الشَّيْخَ إِذَا قَدَّرَ غَفَرَ وَإِذَا أَوْثَقَ أَطْلَقَ وَإِذَا أَسَرَ أَعْتَقَ وَلَقَدْ
هَرَبْتُ مِنَ الشَّيْخِ إِلَيْهِ وَتَسَلَّحْتُ بِعَفْوِهِ عَلَيْهِ وَأَلْقَيْتُ رِبْقَةَ حَيَاتِي
وَمَمَاتِي بِيَدَيْهِ فَلْيَذِقْنِي حَلَاوَةَ رِضَاهُ عَنِّي كَمَا أَذَاقَنِي مَرَارَةَ انْتِقَامِهِ
مَنِّي وَلَتَلُحْ عَلَى حَالِهِ غُرَّةُ عَفْوِهِ كَمَا لَاحَتْ عَلَيْهَا مَوَاسِمُ غَضَبِهِ
وَسَطَوِهِ وَتَبِعْلَمْ أَنَّ الْحُرَّ كَرِيمُ الظُّفْرِ إِذَا نَالَ أَحَالَ وَأَنَّ اللَّيِّيمُ الظُّفْرِ
إِذَا نَالَ أَحَالَ وَأَنَّ اللَّيِّيمَ لَيِّيمُ الظُّفْرِ إِذَا نَالَ اسْتَطَالَ وَلْيَعْتَنِمِ
التَّجَاوُزَ عَنْ عَثَرَاتِ الْأَحْرَارِ وَلْيَنْتَهِزْ فُرْصَ الْإِقْتِدَارِ وَلْتَحْمَدِ اللَّهُ
الَّذِي أَقَامَهُ مَقَامَ مَنْ يُرْتَحَى وَيُخْشَى وَرَكَّبَ نِصَابَهُ فِي رُتْبَةِ شَابِ
الزَّمَانِ وَمَجْدُهَا فِيَّ وَأَخْلَقَ الْعَالَمَ وَذَكَرَهَا طَرَى فَجَعَلَهُ فِي الْمِيْلَادِ
كَرِيمَهَا وَسَلِيلَهَا وَفِي الرُّتْبَةِ قُدْرَتَهَا وَجَلِيلَهَا وَلْيَعْتَقِدْ أَنَّهُ قَدْ هَابَهُ
مَنْ اسْتَتَرَ وَلَمْ يُذْنِبْ إِلَيْهِ مَنْ اعْتَذَرَ وَأَنْ مَنْ رُدَّ عَلَيْهِ عُذْرُهُ فَقَدْ
أُخْرِجَ إِلَى الشَّجَاعَةِ بَعْدَ الْجُبْنِ وَأُخْرِجَ ذَنْبُهُ إِلَى صَحْنِ الْيَقِينِ مِنْ
سُتْرَةِ الظَّنِّ وَفَقَّ اللَّهُ الشَّيْخَ لِمَا يَحْفَظُ عَلَيْهِ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ وَعَصَمَهُ

مِمَّا يَزِيدُ بِهِ فِي عَذَابِ جَمَاجِمِ أَعْدَائِهِ وَلَيْسَ بَيْنَ الْمَوَالَةِ وَالْمُعَادَاةِ إِلَّا لُقِيَّةٌ بِشِيعَةٍ أَوْ لَفْظَةٌ قَذَعَةٌ.

ولصححه إلى بعض اصفيائه

مَا زِلْتُ أُدَافِعُ النَّفْسَ فِيمَا تَتَقَاضَانِي مِنْ شَكْوَى أَشْوَاقِهَا وَفِي الشُّكْوَى شِفَاءٌ وَاسْتِنْزَالُ أَثَرٍ مِنْ لَدُنْكَ تَتَعَلَّلُ بِهِ مَسَافَةَ الْبَيْنِ إِلَى أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ بِاللَّقَاءِ وَمِنْ دُونِ إِجَابَتِهَا مَشَادَةُ قَدْ شَغَلَتِ الذَّرْعَ وَشَوَاعِلُ قَدْ فَرَّغَ مِنْ دُونِهَا الْوَسْعُ إِلَى أَنْ غَلَبَ جَيْشُ الْوَجْدِ عَلَى مَعَاقِلِ الصَّبْرِ وَرَاحِمَ مَنَاكِبِ الْعُدْوَاءِ حَتَّى ضَرَبَ أَطْنَابُهُ بَيْنَ الْحِجَابِ وَالصَّدْرِ فَاتَّخَذَتْ هَذِهِ الرُّقْعَةُ أَرْجِيَهَا إِلَيْكَ وَفِيهَا مِنْ وَقَرِ السُّوقِ مَا يَنْوُءُ بِرَسُولِهَا وَمِنْ رَقَةِ الصَّبَابَةِ مَا يَكَادُ يَطِيرُ بِهَا أَوْ يُخَلِّفُهَا فَيُصَافِحُ الْأَعْتَابَ قَبْلَ وُصُولِهَا رَاجِيًا لَهَا أَنْ تُتَلَقَّى بِمَا عَهْدَ فِي سَيْدِي مِنَ الطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ وَأَنْ لَا يَضُنَّ عَلَيْهَا بِمَا عَوَدَنِي مِنْ تَمْهِيدِ الْعُذْرِ وَيَصِلَنِي مِنْ بَعْدِهَا بِأَنْيَائِهِ الطُّيْبَةِ عَائِدَةً عَنْهُ بِمَا يَكُونُ لِلنَّظَرِ قُرَّةً وَلِلخَاطِرِ مَسْرَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وله أيضًا

وَأَقَانِي كِتَابُكَ الْعَزِيزُ وَالنَّفْسُ نَارَعَةٌ إِلَى مَا يُزِيلُ نِفَارَهَا وَالْقَرِيحَةُ تَائِقَةٌ إِلَى مَا يَشْحَذُ غِرَارَهَا فَكَانَ رَوْضَةٌ بِاسْمَةِ الْكَمَائِمِ فَاتِحَةٌ.

النَّسَائِمِ قَدْ رَدْتُ عَلَى النَّفْسِ انْبِسَاطَهَا وَأَخِيَّتِ الْبَادِرَةَ فَاسْتَأْنَقْتُ
نَشَاطَهَا فَأَنَا مِنْهُ مَا بَيْنَ وَشْيٍ يُخْجِلُ طِرَازَ الْعَبْقَرِيَّةِ وَزَخْرَفِ
دُونِهِ نَضْرَةَ السَّابِرِيَّةِ تُنَاجِيْنِي مِنْهُ رَشَاقَةُ أَلْفَاظِ تَفَضُّحِ قُدُودِ
الْحِسَانِ وَغَضَاضَةِ أَنْفَاسٍ يَغَارُ مِنْهَا وَرْدُ الْجَنَانِ وَرَفُّ خِطَابِ
يَشْفُ عَنْ وَدِّ صَفِيِّ وَلُطْفِ حَفِيِّ وَكَرَمِ وَفَى وَعَتَبِ أَعَذَبِ مِنَ الْمَاءِ
الْفَرَّاحِ وَأَرْقَ مِنْ نَسَقَاتِ الصَّبَا فِي الصَّبَاحِ حَتَّى لَقَدْ حَبَّبَ إِلَى
تَقْصِيرِي وَشَفَعَ عِنْدَ نَفْسِي فِي قَبُولِ مَعَاذٍ يَرَى عَلَى أَنَّ مَا عِنْدِي
مِنَ الْوَلَاءِ لَا يَعْتَزِيهِ مَعَاذُ اللَّهِ وَهَنٌْ وَلَا يُخْلِقُهُ تَمَادِي زَمَنِ أَوْ تَرَامِي
وَطَنِ وَلَكِنْ صُرُوفَ الْأَحْدَاثِ قَدْ قَصَّصَتْ الْجُهْدَ وَصَرَفَتْ جَوَادَ
الْعَزِيمَةِ عَنِ الْقَصْدِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَوْ نَزَلْتُ عَلَى حُكْمِ نَوَازِلِ الدَّهْرِ
وَلَمْ أَدَافِعْ طَلَائِعَهَا بِمَا بَقِيَ مِنْ سَاقَةِ الصَّبْرِ لَمَا كَانَ فِي هِمَّتِي
إِلَّا كَسْرُ الْبَرَاكِ وَهَجْرُ الْمَحَابِرِ وَالرَّقَاعِ وَخَسْبِي مِنَ الْعُذْرِ مَا أَعْرِفُهُ
مِنْ حِلْمِكَ الْمَأْلُوفِ وَمَا أَلْفَتُهُ مِنْ كَرَمِكَ الْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ
يُبْقِيَكَ لِي مِنَ الدَّهْرِ تَصِيْبًا وَيُمَتِّعَنِي بِلِقَائِكَ قَرِيبًا بِمَنْهُ وَكَرَّمِهِ.

وله أيضا

بِمَ يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مَنْ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ عُذْرًا وَكَيْفَ يَسْتَتِرُ مِنْ
عَنْبِكَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ لِدَنْبِهِ سِتْرًا بَلْ كَفَانِي مِنَ الْعُتْبِ تَغْنِيفُ

نَفْسِي عَلَى مَا أَلْقَيْتُ عَلَيْهَا مِنْ تَبَعَةٍ تَقْصِيرِي وَمَا حُلْتُ بِهِ مِنْ
التَّفْرِيطِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَعَاصِيهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا كَانَ تَقْصِيرِي شَيْئًا
أَرَدْتُهُ وَلَا كَانَ تَفْرِيطِي أَمْرًا قَصَدْتُهُ وَلَكِنَّهَا الْإِيَّامُ إِنْ صَاحَبَتْهَا لَمْ
تُضْجِبْ وَإِنْ غَاتَبَتْهَا لَمْ تُغْتِيبْ فَلَقَدْ عَبَّرْتُ بِي هَذِهِ الْبُرْهَةَ كُلُّهَا
وَأَنَا بَيْنَ شَوَاغِلَ لَا يَشْغُلُهَا عَنِّي شَاغِلٌ وَبَلَابِلٌ قَدْ اخْتَلَطَ حَابِلُهَا
بِالنَّابِلِ فَتَنَازَعَتْهَا هَذِهِ النَّهْزَةُ الْيَسِيرَةُ أَجَدُّ فِيهَا صِلَةُ التَّذَكُّرَةِ
إِلَى أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ بِصِلَةِ الْحَبْلِ وَاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ وَأَسْتَنْزِلُ أَحْرُفًا مِنْ
خَطِّكَ يَكْتَحِلُ بِهَا النَّاطِرُ وَيَأْنَسُ إِلَيْهَا الْخَاطِرُ مُتَوَقِّعًا بَعْدَ ذَلِكَ
أَنْ أَبْقَى بَيْنَ يَدَيِ مَوَدَّتِكَ مَذْكُورًا وَأَنْ لَا يَكُونَ عَجْزِي لَدَيْكَ
شَيْئًا مَنْظُورًا وَأَنْ تَجْرِيَ بِي عَلَى عَادَةِ جِلْمِكَ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ
الشَّيْئَتَيْنِ وَيُغْنِيَ الْعَيْنَ عَنِ الْأَثَرِ بِالْعَيْنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

فَضْلٌ

فِي الْعِتَابِ

كتب أبو الفضل بديع الزمان الهمداني إلى أبي جعفر الميكالي^(١)
لَيْنَ سَاءَ نَبِيٌّ أَنْ بَلَّغَنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنْيَ خَطَرْتُ بِبَالِكَ
الْأَمِيرِ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَهُ إِلَى آخِرِ الدُّعَاءِ فِي حَالِي بِرِهِ وَجَفَائِهِ
مُتَّفَضِّلٌ وَفِي يَوْمِي إِذْنَانِهِ وَإِبْعَادِهِ مُحْسِنٌ وَهَنِيئًا لَهُ مِنْ جَمَانَا
مَا يَحِلُّهُ وَمِنْ عُرَانَا مَا يَحِلُّهُ وَمِنْ أَعْرَاضِنَا مَا يَسْتَحِلُّهُ بَلَّغَنِي أَنَّهُ
أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ اسْتِرَادَ صَنِيعَهُ فَكُنْتُ أَظُنُّنِي مَجِيبًا عَلَيْهِ مُسَاءً إِلَيْهِ

(١) هو عبيد الله بن أحمد بن علي الميكالي أمير من الكتاب الشعراء من أهل خراسان صنف الثعالبي "ثمار القلوب" لخزائنه وأورد في "يتيمة الدهر" محاسن من نثره ونظمه ومختارات من كتابه "المخزون" المستخرج من رسائله وسماه صاحب فوات الوفيات "عبد الرحمن بن أحمد" وأورد من شعره ما يوافق بعضه ما في اليتيمة مما يؤكد أنهما شخص واحد، وذكر له من المؤلفات "مخزون البلاغة" و"المنتحل" و"ملح الخواطر ومنح الجواهر" و"ديوان رسائله" و"ديوان شعره" مات سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٤٥ م.

انظر المزيد في: ثمار القلوب ٣ و ٣٦، يتيمة الدهر ٤ / ٢٤٧ - ٢٦٨. فوات الوفيات ٢ / ٢٥ - ٢٧، اللباب ٣ / ٢٠٢.

فَإِذَا أَنَا فِي قَرَارَةِ الذَّنْبِ وَمَشَارَةِ الْعُتْبِ وَلَيْتَ شِعْرِي أَيْ مَحْظُورٍ
 فِي الْعِشْرَةِ حَضَرْتُهُ أَوْ مَفْرُوضٍ مِنَ الْخِدْمَةِ رَفَضْتُهُ أَوْ وَاجِبٍ
 فِي الزِّيَارَةِ أَهْمَلْتُهُ وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا ضَيْفًا أَهْدَاهُ مَنْزَعٌ شَاسِعٌ وَأَدَاهُ
 أَمَلٌ وَاسِعٌ وَحَدَاهُ فَضْلٌ وَإِنْ قَلَّ وَهْدَاهُ رَأْيٌ وَإِنْ ضَلَّ ثُمَّ لَمْ يُلْقِ
 إِلَّا فِي آلِ مِيكَالَ رَحَلَهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَّا بِهِمْ حَبْلُهُ وَلَمْ يَنْظُمْ إِلَّا فِيهِمْ
 شِعْرُهُ وَلَمْ يَقِفْ إِلَّا عَلَيْهِمْ شُكْرُهُ ثُمَّ بَعْدَتْ صُحْبَةُ إِلَّا دَنْتَ مَهَانَةً
 وَلَا زَادَتْ حُرْمَةً إِلَّا نَقَصَتْ صِيَانَةً وَلَا تَضَاعَفَتْ مِنَّةٌ إِلَّا تَرَاجَعَتْ
 مَنْزِلَةٌ حَتَّى صَارَ وَابِلُ الْإِعْظَامِ قَطْرَةً وَعَادَ قَمِيصُ الْقِيَامِ صُدْرَةً
 وَدَخَلْتُ مَجْلِسَهُ وَخَوَّلَهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ كَتِيبَةً فَصَارَ ذَلِكَ التَّقْرِيبُ
 أَرْوَارًا وَذَلِكَ السَّلَامُ اخْتِصَارًا وَالْإِهْتِزَازُ إِيْمَاءً وَالْعِبَارَةُ إِشَارَةً
 وَحِينَ عَاتَبْتُهُ أَمَلُ إِعْتَابِهِ وَكَاتَبْتُهُ أَنْتَظِرْ جَوَابَهُ وَسَأَلْتُهُ أَرْجُو
 إِجَابَهُ أَجَابَ بِالسُّكُوتِ فَمَا أَزْدَدْتُ لَهُ إِلَّا وِلَاءً وَعَلَيْهِ إِلَّا ثَنَاءً
 لَا جَرَمَ أَنْتَى الْيَوْمَ أَبْيَضُ وَجْهِ الْعَهْدِ وَاضِحٌ حُجَّةِ الْوُدِّ طَوِيلُ لِسَانِ
 الْقَوْلِ حُكْمِ الْعُذْرِ وَقَدْ حَمَلْتُ فَلَانًا مِنَ الرِّسَالَةِ مَا تَجَافَى الْقَلَمُ
 عَنْهُ وَالْأَمِيرُ الرَّئِيسُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ يُنْعِمُ بِالْإِصْغَاءِ لِمَا يُورِدُهُ مُوَفَّقًا
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وله إلى القاسم الكرجي

أَنَا أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشُّنَيْخِ سَيِّدِي وَمَسْئُولِي وَإِنْ لَمْ أَلْقَ تَطَاوُلَ

الْإِخْوَانِ إِلَّا بِالتَّطَوُّلِ وَتَحَامُلِ الْأَحْزَارِ إِلَّا بِالتَّحْمَلِ أَحَاسِبُ
 الشَّيْخُ أَيَّدَهُ اللَّهُ عَلَى أَخْلَاقِهِ ضَنًّا بِمَا عُقِدَتْ يَدِي عَلَيْهِ مِنْ
 الظَّنِّ بِهِ وَالتَّقْدِيرِ فِي مَذْهَبِهِ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقُلْتُ فِي الْأَرْضِ مَجَالٌ
 إِنْ ضَاقَتْ ظِلَالُكَ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقُلْتُ فِي الْأَرْضِ مَجَالٌ إِنْ ضَاقَتْ
 ظِلَالُكَ وَفِي النَّاسِ وَاصِلٌ إِنْ رُئِيتُ حِبَالُكَ وَأُوَاخِذُهُ بِأَفْعَالِهِ فَإِنْ
 النَّاسِ وَاصِلٌ إِنْ رُئِيتُ حِبَالُكَ وَأُوَاخِذُهُ بِأَفْعَالِهِ فَإِنْ أَعَارَتْنِي أُذُنًا
 وَأَعْيَةً وَنَفْسًا مُرَاعِيَةً وَقَلْبًا مُتَعِظًا وَرُجُوعًا عَنْ ذَهَابِهِ وَنُزُوعًا عَنْ
 هَذَا الْبَابِ الَّذِي يَقْرَعُهُ وَنُزُولًا عَنِ الصَّعُودِ الَّذِي يَقْرَعُهُ فَرَشْتُ
 لِمَوَدَّتِهِ خِوَانَ صَدْرِي وَعُقِدْتُ عَلَيْهِ جِوَامِعَ خَصْرِي وَمَجَامِعَ عُمْرِي
 وَإِنْ رَكِبَ مِنَ التَّغَالَى غَيْرَ مَرْكَبِهِ وَذَهَبَ مِنَ التَّغَالَى فِي غَيْرِ مَذْهَبِهِ
 أَقْطَعْتُهُ خِطَّةَ أَخْلَاقِهِ وَوَلَّيْتُهُ جَانِبَ إِعْرَاضِهِ وَانْكَفَأْتُ:

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ الْمُرَّ مِنْ ثَمَرِهِ

فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ فِي مُقْتَبِلِ السَّنِّ وَالْعُمُرِ قَدْ حَلَبْتُ شَطْرِي الدَّهْرَ
 وَرَكِبْتُ ظَهْرِي الْبَرَّ وَالْبَحْرَ وَلَقِيتُ وَفَدَيْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَصَافَحْتُ
 يَدِي النَّفْعَ وَالضَّرَّ وَضَرَبْتُ إِبْطِي الْعُسْرَ وَالْيُسْرَ وَبَلَوْتُ طَعْمِي
 الْحُلُوَّ وَالْمُرَّ وَرَضِعْتُ ضَرْعِي الْعُزْفَ وَالنُّكْرَ فَمَا تَكَادُ الْأَيَّامُ تُرِينِي
 مِنْ أَفْعَالِهَا غَرِيبًا وَتُسَمِّعُنِي مِنْ أَخْوَالِهَا عَجِيبًا وَلَقِيتُ الْأَفْوَادَ

وَطَرَحْتُ الْأَحَادَ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا إِلَّا مَلَأْتُ حَافَتِي سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ
وَشَغَلْتُ حَيْرِي فِكْرِهِ وَنَظَرِهِ وَأَثْقَلْتُ كَتِفَهُ فِي الْحَزَنِ وَكَفَّتُهُ فِي
الْوَزَنِ وَوَدَّ لَوْ بَادَرَ الْقِرْنُ صَحِيفَتِي أَوْ لَقِيَ صَفِيحَتِي فَمَا لِي صَغُرْتُ
هَذَا الصُّغَرَ فِي عَيْنِهِ وَمَا الَّذِي أُرْزِي بِي عِنْدَهُ حَتَّى اخْتَجْتُ وَقَدْ
قَصَدْتُهُ وَلَزِمَ أَرْضَهُ وَقَدْ حَضَرْتُهُ أَنَا أَحَاشِيهِ أَنْ يَجْهَلَ قَدْرَ الْفَضْلِ
أَوْ تَجَحَّدَ فَضْلَ الْعِلْمِ أَوْ يَمْتَنِي ظَهَرَ التَّيِّهِ عَلَى أَهْلِيهِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ
يَخْتَصِنِي مِنْ بَيْنِهِمْ بِفَضْلِ إِعْظَامِ إِنْ زَلْتُ بِى مَرَّةً قَدَمٌ فِي قَصْدِهِ
وَكَأَنِّي بِهِ قَدْ غَضِبَ لِهَذِهِ الْمُخَاطَبَةِ الْمُحَجَّفَةِ وَالرُّتْبَةِ الْمُتَحَيِّفَةِ
وَهُوَ فِي جَنْبِ جَفَائِهِ يَسِيرُ فَإِنْ أَقْلَعَ عَنْ عَادَتِهِ وَنَزَعَ عَنْ شِمِيمَتِهِ
فِي الْجَفَاءِ فَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأُسْتَاذِ الْفَاضِلِ وَأَدَامَ عِزَّهُ وَتَأْيِيدَهُ.

وله إلى بعض أصدقائه

أَلَوْ حَشَةُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ تَقْتَدِخُ فِي الصَّدْرِ أَقْتِدَاحَ النَّارِ
فِي الزُّنْدِ فَإِنْ أَطْفِئْتُ بَارَتْ وَتَلَاشَتْ وَإِنْ عَاشَتْ طَارَتْ وَطَاشَتْ
وَالْفَطْرُ إِذَا تَدَارَكَ عَلَى الْإِنَاءِ امْتَلَأَ وَفَاضَ وَالْعُثُ إِذَا تَرَكَ فَرَّخَ
وَبَاضَ وَنَحْنُ أَلُو هَذِهِ الصَّنْعَةِ لَا يَطْرُدُنَا سَوَاطِ كَالْحَقِّ وَلَا يَعْقِلُنَا
شَرَكُ كَالنَّدَى ثُمَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ نَنْظُرُ مِنْ عَالٍ عَلَى الْكَرِيمِ نَظَرَ
إِذْلَالٍ وَعَلَى اللَّئِيمِ نَظَرَ إِذْلَالٍ فَمَنْ لَقِينَا بِأَنْفٍ طَوِيلٍ لَقِينَاهُ
بِخُرْطُومٍ فِيلٍ وَمَنْ لَحَظْنَا بِنَظَرٍ شَرِّرٍ بَعْنَاهُ بِشَمَنِ نَزْرٍ وَعِنْدِي أَنْ

الشَّيْخَ الرَّئِيسَ لَمْ يَغْرِسْنِي لِيُقْطِعْنِي فَتَاهُ وَلَا اشْتَرَانِي لِيَبِيعْنِي
 سِوَاهُ وَيَحْكُ سَلْمَتُ عَلَيْهِ الْغَدَاةُ فَرَدُّ جَوَابًا يَرُدُّ مِثْلَهُ عَلَى الْوُكَلَاءِ
 بِشَطْرِ الْإِيمَاءِ وَاقْتَصَرَ مِنَ الْبَشَاشَةِ عَلَى تَحْرِيكِ الشَّاشَةِ وَمِنْ
 الْإِقْبَالِ عَلَى تَعْوِيجِ السَّبَالِ وَعَهْدِي بِذَلِكَ الرَّئِيسِ يَخْرُقُ إِلَى
 بَسَاطَةِ عَدَوٍّ وَسَمَاطَةِ حَبِوٍّ فَهَذَا الْفَاضِلُ أَجَلَ مِنْ وَالِدِهِ الْفَقِيهِ
 أَيْدُهُ اللَّهُ يُوصِيهِ بِحُسْنِ الْعِشْرَةِ مَعِيَ مِنْ بَعْدِ فَلْتَبْهُ يَوْمٌ وَلِلْجَبْرُوتِ
 قَوْمٌ وَمَا أُرِيدُ بَعْدَ هَذَا الْإِعْتَابِ إِعْتَابًا وَلَا عَنْ هَذِهِ الرُّقْعَةِ جَوَابًا
 فَإِنِّي لَا أُمْكِنُهُ بَعْدَهَا مِنْ أَنْ يَسْتَهِينَ وَلَا أَسْلُمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُهِينَ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وكتب الجاحظ إلى قليب المغربي

وَاللَّهِ يَا قَلِيبُ لَوْلَا أَنَّ كَبِدِي فِي هَوَاكَ مَقْرُوحَةٌ وَرُوحِي
 بِكَ مَجْرُوحَةٌ لَسَاجَلْتُكَ هَذِهِ الْقَطِيعَةَ وَمَادَدْتُكَ حَبْلَ الْمَصَارِمَةِ
 وَأَرْجُو أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُدِيلُ صَبْرِي مِنْ جَفَائِكَ فَيَرُدُّكَ إِلَى مَوَدَّتِي
 وَأَنْفُ الْقَلَى رَاغِمٌ فَقَدْ طَالَ الْعَهْدُ بِالْإِجْتِمَاعِ حَتَّى كِدْنَا نَتَنَازَرُ
 عِنْدَ الْإِلْتِقَاءِ.

وكتب بعضهم

لَوْ كَانَتْ الشُّكُوكُ تَخْتَلِجُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ إِخَائِكَ

وَدَوَامَ عَهْدِكَ لَطَالَ عَتَبِي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُتُبِي وَاحْتِبَاسِ جَوَابَاتِهَا
عَنِّي وَلَكِنَّ الثَّقَةَ بِمَا تَقْدَمُ عِنْدِي تَعْذِرُكَ وَتُحَسِّنُ مَا يُقْبَحُهُ جَنَازُكَ
وَاللَّهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ.

وكتب آخر إلى بعض إخوانه

أَلْهَمَكَ اللَّهُ مِنَ الرُّشِيدِ بِحَسَبِ مَا مَنَحَكَ مِنَ الْفَضْلِ لَوْ أَنَّ كُلَّ
مَنْ نَازَعَ إِلَى الصَّرْمِ قَلَدْنَاهُ عِنَانَ الْهَجْرِ لَكُنَّا أَوْلَى بِالذَّنْبِ مِنْهُ وَلَكِنْ
نَرُدُّ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ وَنَأْخُذُ لَهَا مِنْكَ.

وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي

الجناحين^(١) إلى بعض إخوانه

(١) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب من شجعان
الطالبيين وأجوادهم وشعرائهم، يهتم بالزندقة. وكان فتاكاً سيئاً، الحاشية، طلب
الخلافة في أواخر دولة بني أمية سنة ١٢٧ هـ بالكوفة ويبيع له بعض أهلها وخلعوا
طاعة بني مروان وأنته ببيعة المدائن، ثم قاتله عبد الله بن عمر وإلى الكوفة ففرق
عنه أصحابه سنة ١٢٨ هـ فخرج إلى المدائن ولحق به جمع من أهل الكوفة فغلب
بهم على حلوان والجبيل وهمدان وأصبهان والرى وقصده بنو هاشم كلهم حتى أبو
جعفر "النصور" واستفحل أمره، فجبى له خراج فارس وكورها وأقام باسطخر
فسير أمير العراق "ابن هبيرة" الجيوش لقتاله، فصر لها، ثم انهزم إلى شيراز،
ومنها إلى هراة، فقبض عليه غاملها وقتله خنقاً سنة ١٢٩ هـ/ ٧٤٦ م بأمر أبي مسلم
الخراساني: وضع الفراش على وجهه فمات وقيل مات في سجن أبي مسلم سنة
١٣١ هـ وصاحب البيت المشهور:

أَمَا بَعْدُ فَقَدْ عَاقَبَنِي الشُّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ
ابْتَدَأْتُ بِلُطْفٍ عَنْ غَيْرِ خَبِيرَةٍ وَأَعَقَّبْتُهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ
فَاطْمَعَنِي أَوْلُكَ فِي إِخَائِكَ وَأَيَّاسَنِي آخِرُكَ مِنْ وَفَائِكَ فَسُبْحَانَ
مَنْ لَوْ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيكَ فَأَقَفْنَا عَلَى
اِئْتِلَافٍ وَافْتَرَقْنَا عَلَى اخْتِلَافٍ.

وكتب أحمد بن يوسف^(١) إلى بعضهم

لَسَوْلاً حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ أَعَزُّكَ اللَّهُ لَكَانَ فِي إِغْضَائِكَ عَنِّي
مَا يَقْبِضُنِي عَنْ الطُّلُبَةِ إِلَيْكَ وَلَكِنْ أَمْسَكَ بِرَمَقٍ مِنَ الرَّجَاءِ عَلَيَّ
بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ وَبَسِطْ يَدَكَ إِلَى الَّذِي لَوْ قَبِضْتَهَا عَنْهُ لَمْ

= وعين الرضا عن كل عيب ولكن عين السخط تبدى المساويا
انظر الزيد في: مقاتل الطالبين ١٦١ - ١٦٩، تاريخ ابن خلدون ٣/ ١٢١،
تاريخ الطبري ٥/ ٥٩٩ ثم ٦/ ٣٨، لسان الميزان ٣/ ٣٦٣، الخطط ٢/ ٣٥٣،
التبريزي ٣/ ١٠٦. شرح العيون ١٩٣.

(١) هو أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي الولاء المعروف بالكاظم.
وزير من كبار للكتاب من أهل الكوفة ولي ديوان الرسائل للمأمون، واستوزره بعد
أحمد بن أبي خالد الأحول وتوفي ببغداد سنة ٢١٣ هـ/ ٨٢٨ م وكان فصيحا قوى
البدية يقول الشعر الجيد. له رسائل مدونة وهو صاحب البيت المشهور:

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق
انظر الزيد في: تاريخ بغداد ٥/ ٢١٦، الوزراء والكتاب ٣٠٤، معجم الأدباء
٢/ ١٦٠، البداية والنهاية ١٠/ ٢٦٩، النجوم الزاهرة ٢/ ٢٠٦، أمراء البيان
١/ ٢١٨ - ٢٤٣.

يَكُنْ لَهُ إِلَّا كَرَمُكَ مُذَكَّرًا وَسُودُكَ شَافِعًا.

وكتب العنابي^(١) إلى بعض اخوانه

لَوْ اعْتَصَمَ شَوْقِي إِلَيْكَ بِمِثْلِ سُلُوكِ عَنِّي لَمْ أَبْذُلْ وَجْهَ الرُّغْبَةِ
إِلَيْكَ وَلَمْ أَتَجَسَّمْ مَرَارَةً تَمَادِيكَ وَلَكِنْ اسْتَحْتَنَّا صِبَابَتَنَا فَاحْتَمَلْنَا
قَسْوَتَكَ لِعَظِيمِ قَدْرِ مَوْدَتِكَ وَأَنْتَ أَحَقُّ مَنْ اقْتَصَرَ لِصِلَتِنَا مِنْ جَفَائِهِ
وَلِشَوْقِنَا مِنْ إِبْطَائِهِ .

وكتب أبو بكر الخوارزمي إلى صديق له لما تخلص من يد محمد بن إبراهيم

كِتَابِي وَقَدْ خَرَجْتُ مِنَ الْبَلَاءِ خُرُوجَ السَّيْفِ مِنَ الْجِلَاءِ وَبُرُوزِ
النُّبْرِ مِنَ الظُّلَمَاءِ وَقَدْ فَارَقْتَنِي الْمِحْنَةُ وَهِيَ مُفَارِقُ لَا يُشْتَاقُ إِلَيْهِ

(١) هو كلثوم بن عمرو بن أيوب التغلبي أبو عمرو من بني عتاب بن سعد،
كاتب حسن الترمذ، وشاعر مجيد يملك طريقة النابغة يتصل نسبه بعمرو بن
كلثوم الشاعر وهو من أهل الشام وسكن بغداد، فمدح هارون الرشيد وآخرين
ورمى بالزندقة، فطلبه الرشيد فهرب إلى اليمن، فسعى الفضل بن يحيى البرمكي
بأخذ الأمان له من الرشيد فأمنه. وعاد فاختصر بالبرامكة ثم صحب طاهر بن
الحسين وصنف كتباً منها "فنون الحكم" و"الآداب" و"الخيال" و"الأجواد"
و"الألفاظ" مات سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م.

انظر المزيد في: إرشاد الأريب ٦ / ٢١٢، فوات الوفيات ٢ / ١٣٩، المزباني
٣٥١، تاريخ بغداد ١٢ / ٤٨٨، الشعر والشعراء ٣٦٠، اللباب ٢ / ١١٨، الموشح
٢٩٣ - ٢٩٥.

وَوَدَّعْتَنِي وَهِيَ مُودِّعٌ لَا يُبْكِي عَلَيْهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مِحْنَةٍ
يُجَلِّبُهَا وَنِعْمَةٍ يُنِيلُهَا وَيُؤَلِّبُهَا كُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَمْسَ كِتَابِ الشَّيْخِ
بِالتَّسْلِيَةِ وَالْيَوْمَ بِالتَّهْنِيَةِ فَلَمْ يَكَاثِبْنِي فِي أَيَّامِ الْبُرْخَاءِ بِأَنْهَا
غَمَّتْهُ وَلَا فِي أَيَّامِ الرِّخَاءِ بِأَنْهَا سَرَّتْهُ وَقَدْ اعْتَذَرْتُ عَنْهُ إِلَى نَفْسِي
وَجَادَلْتُ عَنْهُ قَلْبِي فَقُلْتُ أَمَا تَغَافُلُهُ عَنِ الْآخَرَى فَلَأَنَّهُ شَغَلَهُ
الْإِهْتِمَامُ بِهَا عَنِ الْكَلَامِ فِيهَا وَأَمَا تَغَافُلُهُ عَنِ الْآخَرَى فَلَأَنَّهُ
شَغَلَهُ الْإِهْتِمَامُ بِهَا عَنِ الْكَلَامِ فِيهَا وَأَمَا تَغَافُلُهُ عَنِ الْآخَرَى
فَلَأَنَّهُ شَغَلَهُ الْإِهْتِمَامُ بِهَا عَنِ الْكَلَامِ فِيهَا وَأَمَا تَغَافُلُهُ عَنِ الْآخَرَى
فَلَأَنَّهُ شَغَلَهُ الْإِهْتِمَامُ بِهَا عَنِ الْكَلَامِ فِيهَا وَأَمَا تَغَافُلُهُ عَنِ الْآخَرَى
فَلَأَنَّهُ أَحَبُّ أَنْ يُؤَفَّرَ عَلَى مَرْتَبَةِ السَّابِقِ إِلَى الْإِبْتِدَاءِ وَيَقْتَصِرَ مِنْ
كُلِّ جِهَةٍ وَمَخْهُوفَةٌ بِي مِنْ كُلِّ رُتْبَةٍ فَإِنْ كُنْتُ أَحْسَنْتُ الْإِعْتِذَارَ
عَنْ سَيِّدِي فَلْيَعْرِفْ لِي حَقَّ الْإِحْسَانِ وَلْيَكْتُبْ إِلَيَّ بِالْإِسْتِحْسَانِ
وَإِنْ كُنْتُ أَسَأْتُ فَلْيُخَبِّرْنِي بِعُذْرِهِ فَإِنَّهُ أَعْرَفُ مِنِّي بِسِرِّهِ وَلْيَرْضَ
مِنِّي بِأَنِّي حَارَبْتُ عَنْهُ قَلْبِي وَاعْتَذَرْتُ عَنْ ذَنْبِهِ حَتَّى كَانَهُ ذَنْبِي
وَقُلْتُ يَا نَفْسُ اعْذِرِي أَخَاكَ وَخُذِي مِنْهُ مَا أَعْطَاكَ فَمَعَ الْيَوْمَ غَدٌ
وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ.



فَضْلٌ

فِي التَّنْصِلِ

كتب ابن الرومي إلى القاسم بن عبيد الله^(١)

تَرْفَعُ عَنْ ظُلْمِي إِنْ كُنْتُ بَرِيئًا وَتَفْضُلُ بِالْعَفْوِ إِنْ كُنْتُ مُسِيئًا
فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأُطْلِبُ عَفْوَ ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ وَأَلْتَمِسُ الْإِقَالََةَ مِمَّا لَا أَعْرِفُهُ
لِتَزْدَادَ تَطَوُّلاً وَأَزْدَادَ تَذَلُّلاً وَأَنَا أُعِيدُ حَالِي عِنْدَكَ بِكَرَمِكَ مِنْ وَاشٍ
يَكِيدُهَا وَأُخْرِسُهَا بِوَفَائِكَ مِنْ بَاغٍ يُحَاوِلُ إِفْسَادَهَا وَأَسْأَلُ اللَّهَ
تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ حَظِّي مِنْكَ بِقَدَرٍ وَدَى لَكَ وَمَحَلِّي مِنْ رَجَائِكَ
بِحَيْثُ اسْتَحِقُّ مِنْكَ.

وكتب آخر إلى بعضهم

أَنْتَ أَعَزُّكَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَفْوِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ أَنْ تُجَارِيَنِي بِالسُّوءِ

(١) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي وزير من الكتاب الشعراء له غزل رقيق. استوزره المعتضد العباسي بعد أبيه عبد الله سنة ٢٨٨ هـ ولما مات المعتضد سنة ٢٨٩ هـ قاسم القاسم بأعباء الخلافة وعقد البيعة للمكتفي في غيبته بالركة وزر له. وكان مولده سنة ٢٥٨ هـ / ٨٧٢ م ومات سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م.
انظر المزيد في: المزيباني ٢٣٧.

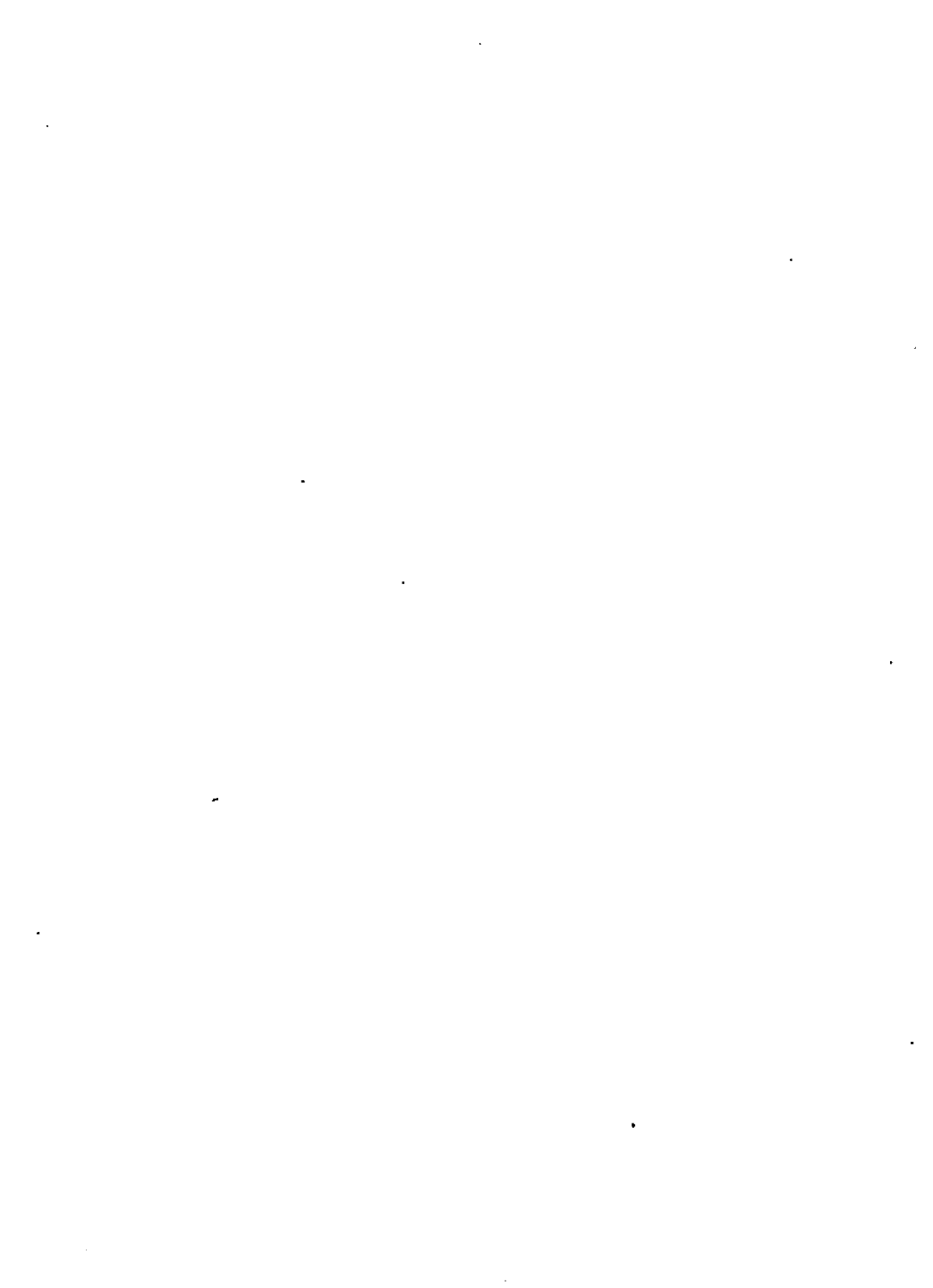
عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ بِيَدٍ وَلَا لِسَانٍ بَلْ جَنَاهُ عَلَى لِسَانٍ وَأَشٍ.
فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تُسَهِّلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْكَرَمِ وَأَرْغَى
لِحُقُوقِهِ وَأَرْغَى لِحُقُوقِهِ وَأَقْعُدُ بِالشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِذِمَّتِهِ مِنْ أَنْ تَرُدَّ
يَدَ مُؤْمَلِكٍ صَفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا التَّمَسَّهُ وَمِنْ عُذْرِكَ إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ
شَافِعًا فِيهِ وَذَرِيعَةً لَهُ.

وكتبَ بديعُ الزمانِ الهمذاني إلى أبي علي بن مشكوبه

وَيَا عَزَّ إِنِّ وَأَشٍ وَشَى بِيَّ عِنْدَكُمْ
فَلَا تُمَهِّلِيهِ أَنْ تَقُولِي لَهُ مَهْلًا
كَمَا لَوْ وَشَى وَأَشٍ بَعْرَةً عِنْدَنَا
لَقُلْنَا تَزْحَرْخَ لَا قَرِيبًا وَلَا أَهْلًا

بَلَّغْنِي أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ أَنْ عَقَرَبَ الشَّرَّ دَبَّتْ إِلَيْهِ بِأَحَادِيثَ
لَمْ يُعْرِهَا الْحَقُّ نُورَهُ وَلَا الصُّدُقُ ظُهُورَهُ وَأَنَّهُ آدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ أَذِنَ
لَهَا عَلَى مَجَالِ أُذُنِهِ وَفَسَحَ لَهَا فِنَاءَ ظَنِّهِ وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَقُولَهَا
وَأُسْتَجِيزَ مَعْقُولَهَا بَلْ قَدْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّيْخِ الْقَاضِلِ عِتَابُ
لَا يَتَعَدَّى النَّفْسَ وَصَمِيرَهَا وَحَدِيثُ لَا يَعْرِفُ الشَّفَةَ وَصَمِيرَهَا
وَوُحْشَةُ يَكْشِفُهَا عِتَابُ لِحْظَةِ كِتَابِ حَجْظَةِ فُسُبْحَانَ مَنْ رُبِّي
هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى صَارَ أَمْرًا وَتَأَبَّطُ شَرًّا وَأَوْجَبَ عُذْرًا وَأَوْحَشَ حُرًّا

وَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَنِي فِي جَنْبِ الْعَدُوِّ أَشِيمٌ عَلَيْهِ لَكِنْ مَنْ بُلِيَ
مِنَ الْأَعْدَاءِ بِمِثْلِ مَا بُلِيتُ وَرُمِي مِنَ الْحَسَدِ بِمَا رُمِيتُ وَوَقَفَ
مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْوَحْدَةِ حَيْثُ وَقَفْتُ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَكَارِهِ مَا
وَصَفْتُ اعْتَذَرَ مَظْلُومًا وَضَحِكَ مَشْتُومًا وَلَوْلَا أَنَّ الْعُذْرَ إِقْرَارُ بِمَا
قِيلَ وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْتَقِيلَ لِبَسْطِ فِي الْإِعْتِذَارِ شَاذِرُونًا وَدَخَلْتُ
فِي الْإِسْتِقَالَةِ مَيِّدَانًا لَكِنَّهُ أَمْرٌ لَمْ أَضِعْ أَوَّلَهُ وَدَخَلْتُ فِي الْإِسْتِقَالَةِ
مَيِّدَانًا لَكِنَّهُ أَمْرٌ لَمْ أَضِعْ أَوَّلَهُ فَلَمْ أَتَدَارَكَ آخِرَهُ وَلَعَلَّ الشَّيْخَ
أَبَا مُحَمَّدٍ أَيْدَهُ اللَّهُ يَقُومُ مِنَ الْإِعْتِذَارِ بِمَا قَعَدَ عَنْهُ الْقَلَمُ فَنِعَمَ رَأَيْدُ
الْفَضْلِ هُوَ وَالسَّلَامُ.



فَضْلٌ

فِي الْمَدْحِ وَالشُّكْرِ

كُتِبَ أَحْمَدُ بْنُ مَكْرَمٍ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ الْمَدْبَرِ^(١)

إِنَّ جَمِيعَ أَكْفَائِكَ وَتُطْرَائِكَ بَتَنَازَعُونَ الْفَضْلَ فَإِذَا انْتَهَوْا إِلَيْكَ
أَقْرُوا لَكَ وَيَتَنَافَسُونَ الْمَنَازِلَ. فَإِذَا بَلَغُوكَ وَقَفُوا دُونَكَ فَرَادَكَ اللَّهُ
وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ وَجَعَلَنَا مِمَّنْ يَقْبَلُهُ رَأْيُكَ وَيُقَدِّمُهُ اخْتِيَارُكَ وَيَقَعُ
مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْقِعِ مُوَافَقَتِكَ وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِكَ.

وَكُتِبَ بَعْضُهُمْ

إِنَّ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُثْنِيِّ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخَافُ الْإِفْرَاطَ وَلَا يَأْمَنُ
التَّقْصِيرَ وَيَأْمَنُ أَنْ يَلْحَقَهُ نَقِیْضَةُ الْكُذِبِ وَلَا يَنْتَهَى بِهِ الْمَدْحُ غَايَةً
إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا.

وَكُتِبَ آخَرُ إِلَى بَعْضِهِمْ

إِنْسَى فِيمَا أَتَعَاطَى مِنْ مَدْحِكَ كَالْخَبِيرِ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ الزَّاهِرِ

(١) ورد له ذكر في إرشاد الأريب.

وَالْقَمَرِ الْبَاهِرِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ نَاطِرٍ وَابْقَنْتُ أَنِّي حَيْثُ
 انْتَهَى بِي الْقَوْلُ مَنُسوبٌ إِلَى الْعَجْزِ مُقْصَرٌّ عَنِ الْعَايَةِ فَانْصَرَفْتُ
 مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ إِلَى الدُّعَاءِ لَكَ وَوَكَّلْتُ الْإِخْبَارَ عَنْكَ إِلَى أَعْلَمِ
 النَّاسِ بِكَ.

وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني إلى الشيخ الإمام
 إلى الطيب سهل^(١)

وَلَمَّا وَقَعَ بِخُرَاسَانَ مَا وَقَعَ مِنْ حَرْبٍ وَجَرَى مَا جَرَى مِنْ
 خَطْبٍ وَاضْطَرَبَتِ الْأُمُورُ وَاخْتَلَفَتِ السُّيُوفُ وَالتَّقَتِ الْجُمُوعُ وَظَفِرَ
 مَنْ ظَفِرَ وَخَسِرَ مَنْ خَسِرَ كَتَبْنِي اللَّهُ فِي الْأَعْلِينَ مَقَامًا ثُمَّ الِهِمْنِي
 الْإِمْتِدَادَ عَنْ تِلْكَ الْبِلَادِ وَالْإِقْلَاعَ عَنْ تِلْكَ الْبِقَاعِ وَأَحْسَنَ اللَّهُ الدَّاعَ
 عَنْ خَيْرِ الْأَعْلَاقِ وَهُوَ الرَّاسُ بِمَا دُونَ الْأَعْرَاضِ وَهُوَ اللَّبَاسُ فَلَمْ
 نَجْزَعْ لِمَرْضِ الْحَالِ مَعَ سَلَامَةِ النُّفُوسِ وَلَمْ نَحْزَنْ لِذَهَابِ الْمَالِ
 مَعَ بَقَاءِ الرُّؤُوسِ وَسِرْنَا حَتَّى وَرَدْنَا عَرْضَةَ الْعَدْلِ وَسَاحَةَ الْفَضْلِ
 وَمَرَبَعَ الْحَمْدِ وَمَشْرِعَ الْمَجْدِ وَمَضْرَعِ الْفَقْرِ حَضْرَةَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي

(١) هو سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي النيسابوري أبو الطيب
 مفتي نيسابور وابن مفتيها. له "الفوائد" جمعها من مسامعته، مات سنة
 ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م.

انظر المزيد في: وفيات الأعيان ١ / ٢١٩.

أَحْمَدَ خَلَفَ بْنِ أَحْمَدَ فَكَانَ مَا أَضَعْنَاهُ كَأَنَّا زَرَعْنَاهُ فَأَثْبَتَ سَبْعَ
سَنَابِلَ وَكَانَ مَا فَقَدْنَاهُ كَأَنَّا أَقْرَضْنَاهُ هَذَا الْمَلِكُ الْعَادِلَ وَكَأَنَّمَا سُمِّيَ
خَلْفًا لِيَكُونَ عَنْ كُلِّ فَائِتٍ خَلْفًا وَعَنْ كُلِّ مَا مَضَى عِوَضًا وَكَأَنَّمَا
جَنَّتَاهُ لِيَضِيقَ عَلَيْنَا الْعَالَمُ وَيُبْغِضَ إِلَيْنَا بَنَى آدَمَ فَيَجْعَلَ حَبْسَنَا
سَجِسْتَانٍ وَقَيْدَنَا الْإِحْسَانَ وَكَأَنَّمَا خُلِقَ لِلدُّنْيَا تَحْجِيلًا وَلِلْمُلُوكِ
تَحْجِيلًا وَكَأَنُّ هَذَا الْعَالَمِ قَدْ أَذْنَبَ مَثَلًا فَجُعِلَ هَذَا الْعَالَمُ عِقَابَهُ
فَهُوَ الْبَحْرُ يَمْشِي عَلَى رَجْلَيْنِ وَالْمَجْدُ يَتَصَوَّرُ فِي الْعَيْنِ وَالْعَدْلُ
يَتَقَسَّمُ وَالْجُودُ يَتَجَسَّمُ وَالْبَحْرُ يَتَكَلَّمُ فَلَمَّا التَقَيْنَا فَرَشْتُ الْأَرْضَ
بِيَدِي فَرَشًا وَنَقَشْتُ التُّرَابَ بِفِي نَقْشًا وَخَطَا إِلَى خَطَوَاتٍ كَادَتْ
الْأَرْضُ لَا تَسُوعَهَا وَكَادَتْ الْمَلَائِكَةُ تَرْفَعُهَا ثُمَّ إِنَّهُ زَيْفٌ بِلَقِيَايَ
وُفُودَ الْكَلَامِ كَمَا زَيْفَتْ بِلُقِيَاهُ مُلُوكُ الْأَنَامِ وَأَفْسَدَنِي عَلَى النَّاسِ
مِنْ جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ فَمَا أَرْضَى غَيْرَهُ أَحَدًا وَلَا أَجِدُ مِثْلَهُ أَبَدًا وَإِنْ
طَلَبْتُ مُلِكًا فِي أَخْلَاقِهِ مِثِّي وَلَمْ أَلَقِ أَوْ كَرِيمًا فِي جُودِهِ عِدِمْتُ
قَبْلَ وَجُودِهِ فَحَرَسَ اللَّهُ سُلْطَانَهُ مِنْ مَلِكٍ وَسِعَ أَرْزَاقِي فَضِيقَ
أَخْلَاقِي وَأَغْلَى ثَمَنِي فَمَا يَشْتَرِينِي أَحَدٌ وَعَظُمَ أَمْرِي فَمَا يَسْعُنِي
بَلَدٌ وَهَذَا وَصَفُ إِنْ أَطْلُتُهُ طَالَ وَنَشَرَ الْأَذْيَالُ وَاسْتَغْرَقَ الْقِرْطَاسُ
بِلِ الْأَنْفَاسِ وَاسْتَفْذَى الْأَعْمَارُ بِلِ الْأَعْصَارِ وَلَمْ يَبْلُغِ الْمِعْشَارُ وَأَفْنَى
الْأَقْلَامُ بِلِ الْكَلَامِ وَلَمْ يَبْلُغِ التَّمَامُ.

وللعنابي صدر رسالة

أَنْتَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ وَارِثُ سَلَفِكَ وَبَقِيَّةُ أَعْلَامِ أَهْلِ بَيْتِكَ الْمَسْدُودِ
بِهِ تَلْمُهُمُ الْمُجَدِّدُ بِهِ قَدِيمُ شَرَفِهِمْ وَالْمُحْيَا بِهِ أَيَّامُ سَعِيهِمْ وَإِنَّهُ
لَمْ يَخْمَلْ مَنْ كُنْتَ وَارِثُهُ وَلَا دُرِسْتَ آثَارُ مَنْ كُنْتَ سَالِكِ سَبِيلِهِ
وَلَا انْمَحَتْ أَعْلَامُ مَنْ خَلَفْتَهُ فِي رُتَبَتِهِ.

وكتب الحسن بن وهب إلى بعضهم

مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثُرْوَةٍ أَقْدَرْتَهُ عَلَيْهَا فَإِنْ
شُكِرِي لَكَ عَلَى مُهْجَةٍ أَحْيَيْتَهَا وَخَشَاشَةٍ أَبْقَيْتَهَا وَمَرْمَقٍ أَمْسَكَتَ
بِهِ وَقَمَتَ بَيْنَ التَّلِّ وَبَيْنَهُ فَلِكُلِّ بَعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا حَدٌ تَنْتَهِي
إِلَيْهِ وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ وَغَايَةٌ مِنَ الشُّكْرِ يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ خَلَا
هَذِهِ النُّعْمَةُ الَّتِي قَدْ فَاقَتِ الْوُصْفَ وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قَدْرَهُ
وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ
الْحُسُودِ فَتَحْنُ نَلْجَأُ مِنْكَ فِيهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَنْفِ كَرِيمٍ فَكَيْفَ
يَشْكُرُ الشَّاكِرُ وَأَيْنَ يَبْلُغُ جُهْدُ الْمُجْتَهِدِ.

وكتب أبو الفضل الميكالي إلى بعضهم من رسالة

فَأَمَّا الشُّكْرُ الَّذِي أَعَارَنِي رِذَاهُ وَقَلَّدَنِي طَوْقَهُ وَسَنَاهُ فَهِيَ هَاتِ

أَنْ يَنْتَسِبَ إِلَّا إِلَى عَادَاتِ فَضْلِهِ وَإِفْضَالِهِ وَلَا يَسِيرُ إِلَّا تَحْتَ
 رَايَاتِ عُرْفِهِ وَنَوَالِهِ وَهُوَ ثَوْبٌ لَا يُحْلَى إِلَّا بِذِكْرِهِ طَرَاؤُهُ. وَأَسْمُ
 لَهُ حَقِيقَتُهُ وَلِسَوَاهُ مَجَاوُزُهُ وَلَوْ أَنَّهُ حِينَ مَلَكَ رَقِي بِأَيْدِيهِ وَأَعْجَزَ
 وَسَعَى عَنْ حُقُوقِ مَكَارِمِهِ وَمَسَاعِيِهِ خَلَى لِي مَذْهَبَ الشُّكْرِ وَمَيْدَانَهُ
 وَلَمْ يُجَادِبْنِي زِمَامَهُ وَعِنَانَهُ لَتَعَلَّقْتُ عَنْ بُلُوغِ بَعْضِ الْوَاجِبِ
 بِعُرْوَةِ طَمَعٍ وَنَهَضْتُ فِيهِ وَلَوْ عَلَى بَعْضِ الْوَاجِبِ بِعُرْوَةِ طَمَعٍ
 وَنَهَضْتُ فِيهِ وَلَوْ عَلَى وَهْنٍ وَظَلَعٍ وَلَكِنَّهُ يَأْبَى إِلَّا أَنْ يَسْتَوِلِيَ عَلَى
 أَمْدِ الْفَضَائِلِ وَيَتَسَنَّمَ ذِرَى الْغَوَارِبِ مِنْهَا وَالْكَوَاهِلِ فَلَا يَدْعُ فِي
 الْمَجْدِ غَايَةً إِلَّا سَبَقَ إِلَيْهَا فَارْطًا وَتَخَلَّفَ سَوَاهُ عَنْهَا حَسِيرًا
 سَاقِطًا لِيَتَكُونَ الْمَعَالِي بِأَسْرَها مَجْمُوعَةً فِي مِلْكِهِ مَنْظُومَةً فِي سِلْكِهِ
 خَالِصَةً لَهُ مِنْ دَعْوَى الْقَسِيمِ وَشُرْكِهِ.

فَضْلٌ

فِي الْعِيَادَةِ

كُتِبَ بَعْضُهُمْ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ

لَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الْإِعْتِمَامِ بِعِلَّتِكَ حَالَ الْمَشَارِكِ فِيهَا
بَأَنْ يَنَالَنِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا بَلِ اجْتَمَعَ عَلَيَّ مِنْهَا
أَنْتَى مَخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُؤَلَّمٌ مِنْهَا بِمَا يُؤَلِّمُكَ فَأَنَا عَلِيلٌ مَصْرُوفٌ
الْعَنَايَةِ إِلَى عَلِيلٍ كَأَنْتَى سَلِيمٌ وَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي
عَافِيَتِكَ أَنْ يَخْصِنِي بِهَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ.

وَكُتِبَ بَعْضُهُمْ

لِيَنْ تَخْلُقْتَ عَنْ عِيَادَتِكَ بِالْعُذْرِ الْوَاضِحِ مِنَ الْعِلَّةِ مَا أَغْفَلَ
قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي فَخَصًا عَنْ خَبْرِكَ وَمُحِبُّكَ يُحِبُّ أَنْ تَتَقَسَّمَ
جَوَارِحُهُ وَصَبْكُ وَإِنْ زَادَ فِي أَلَمِهَا أَلَمُكَ وَأَنْ تَتَّصِلَ بِهِ أَحْوَالُكَ فِي
السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَلَمَّا بَلَغْنِي إِفَاقَتَكَ كَتَبْتُ مُهْنَتًا بِالْعَافِيَةِ مُعْفِيًا مِنْ
الْجَوَابِ إِلَّا بِخَيْرِ السَّلَامَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وكتب بعضهم

إِنَّ الَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَنِ الْمُدَافَعَةِ عَنْ جَوَابِكَ
فَلَوْ قُلْتُ إِنَّ الْحَقَّ قَدْ سَقَطَ عَنِّي فِي عِبَادَتِكَ لَأُنْثِيَ عَلِيلٌ بِعِلَّتِكَ
لَقَامَ بِذَلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثَرٌ بَادٍ فِي حَالِي لَغَيْبَتِكَ
وَأَصْدَقُ الْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ الْأَثَرُ وَأَفْضَلُ الْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ
مِنَ الْفِعْلِ.

وكتب ابن الرومي إلى بعضهم

أَذِنَ اللَّهُ فِي شِفَائِكَ وَتَلَقَّى دَاكَ بِدَوَائِكَ وَمَسَحَ بِيَدِ الْعَافِيَةِ
عَلَيْكَ وَوَجَّهَ وَقَدْ السَّلَامَةَ إِلَيْكَ وَجَعَلَ عِلَّتَكَ مَاجِنَةً لِذُنُوبِكَ
مُضَاعَفَةً لِثَوَابِكَ.

وكتب أبو بكر الخوارزمي إلى تلميذه

وَصَلِّ كَتَبَكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّنِي نَضَى إِلَيْهِ عَنِّي حَمْلًا عَنِ
عَلَيْهِ لِمَا تَضَعْنَهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتِكَ جَعَلَ اللَّهُ أَوَّلَهَا كَثْرَةً وَآخِرَهَا
عَافِيَةً وَلَا أَعْدَمَكَ عَلَى الْأَوَّلَى أَجْرًا وَعَلَى الْآخِرَى شُكْرًا وَيُودِي
لَوْ قُرْبَ عَلَى مُتَنَاوُلِ عِبَادَتِكَ فَاحْتَمَلْتُ عَنْكَ بِالتَّعَهُدِ وَالْمُسَاعَدَةِ
بَعْضَ أَغْبَاءِ عِلَّتِكَ فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنَ الْعِلَّةِ قِسْمٌ كَقِسْمِكَ وَمَرْضَ

قَلْبِي فِيكَ لِمَرْضِ جِسْمِكَ وَأَظُنُّ أَنِّي لَوْ لَقَيْتَكَ عَلِيلاً لَأَنْصَرَفْتُ
 عَنْكَ وَأَنَا أَعْلَى مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى جَلَدْتُ عَلَى أَوْجَاعِ
 أَعْضَائِي غَيْرُ جَلْدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي يَنْبُو عَنِّي سَهْمُ الدَّهْرِ
 إِذَا رَمَانِي وَيَنْفُذُ فِي إِذَا رَمَى إِخْوَانِي فَأَقْرَبُ سِهَامِهِ مِنِّي أَبْعَدُ
 سِهَامِهِ عَنِّي كَمَا أَنَّ أَبْعَدَهَا عَنِّي أَقْرَبُهَا مِنِّي شَفَاكَ اللَّهُ وَعَافَاكَ
 وَكَفَانِي فِيكَ الْمَخْذُورَ وَكَفَاكَ وَرَفَعَ جَنْبِكَ وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَآمَنَ سِرْبَكَ
 وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَعْبِكَ.

وَلَهُ مِنْ رِسَالَةٍ

وَقَفْتُ عَلَى مَا شَكَاهُ سَيِّدِي مِنَ الْعِلَّةِ شَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا
 وَعَوَّضَهُ الصَّحَّةَ عَذَّهَا وَدِدْتُ لَوْ قَبِلْتَنِي الْعِلَّةُ فِدَاءً وَأَمَكَّنَنِي أَنْ
 أَقْرِضَ سَيِّدِي شِفَاءً فَكُنْتُ أَنْقُلُ إِلَيْهِ الصَّحَّةَ نَقْلاً وَأَبْذُلُ لَهُ
 مَا عِنْدِي مِنَ الْعَافِيَةِ بَدْلاً.

فَضْلٌ

فِي الْإِهْدَاءِ

كتب سعيدُ بنُ حميدٍ^(١) إلى أهل السلطان في يوم النيروز
أَيُّهَا السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عِشْتَ أَطْوَلَ الْأَعْمَارِ بِزِيَادَةِ مِنَ الْعُمُرِ
مَوْصُولَةٍ بِفَرَائِضِهَا مِنَ الشُّكْرِ لَا يَنْقُضِي حَقَّ بِعْمَةٍ حَتَّى يُجَدِّدَ
لَكَ أُخْرَى وَلَا يَمُرُّ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقْصَرًا عَمَّا بَعْدَهُ مُوفِيًا عَمَّا
قَبْلَهُ. إِنِّي تَصَفَّحْتُ أَحْوَالَ الْأَتْبَاعِ الَّذِينَ يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْهَدَايَا
إِلَى السَّادَةِ وَالتَّمَسَّكُ التَّاسِي بِهِمْ فِي الْإِهْدَاءِ وَإِنْ قَصَرْتُ بِي
الْحَالُ عَنِ الْوَاجِبِ فَوَجَدْتُ أَنِّي إِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فَهِيَ بِلَكَ
لَكَ لَاحِظٌ فِيهَا لِغَيْرِكَ. وَرَمَيْتُ بِطَرْفِي إِلَى كَرَامَتِكَ مَالِي فَوَجَدْتُهَا
مِنْكَ فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ مِنْهَا شَيْئًا فَإِنِّي لَمُهْدٍ مَالِكَ إِلَيْكَ. وَنَزَعْتُ

(١) هو سعيد بن حميد أبو عثمان كاتب مترسل من الشعراء. أصله من
النهروان الأوسط من أبناء الدهاقين ومولوده ببغداد ثم كان ينتقل في السكنى بينها
وبين سامرا وقلده المستعين العباسي ديوان رسائله أكثر أخباره مناقضات له مع فضل
الشاعرة وشعره رقيق، كان ينحو فيه منحى ابن أبي ربيعة وأضرابه.
انظر المزيد في: الأغاني ٢ / ٨.

إِلَى تَوَدُّتِي فَوَجَدْتُهَا خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ مُسْتَحْدَثَةٍ فَرَأَيْتُ إِنْ
جَعَلْتُهَا هَدِيَّتِي أَنِّي لَمْ أُجِدْ لَهُذَا الْيَوْمَ الْجَدِيدِ بَرًّا وَلَا لَطْفًا. وَلَمْ
أُمَيِّزْ مَنْزِلَةً مِنْ شُكْرِي بِمَنْزِلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ الشُّكْرُ مُقْصَرًّا
عَنِ الْحَقِّ وَالنَّعْمَةُ زَائِدَةً عَلَى مَا تَبْلُغُهُ الطَّاقَةُ فَجَعَلْتُ الْإِعْتِرَافَ
بِالتَّقْصِيرِ عَنْ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَالْإِقْرَارَ بِالتَّقْصِيرِ عَمَّا يَجِبُ لَكَ
بَرًّا أَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْكَ وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ:

إِنْ أَهْدِ مَالًا فَهُوَ وَاهِبُهُ
وَهُوَ الْحَقِيقُ عَلَيْهِ بِالشُّكْرِ
أَوْ أَهْدِ شُكْرِي فَهُوَ مُرْتَهَنٌ
بِجَمِيلِ فِعْلِكَ آخِرَ الدَّهْرِ
وَالشَّمْسُ تَسْتَغْنِي إِذَا طَلَعَتْ
أَنْ تَسْتَضِيَءَ بِسُنَّةِ الْبَدْرِ

وكتب إبراهيم بن المهدي^(١) إلى صديق له

لَوْ كَانَتْ التُّحَفَةُ عَلَى حَسَبِ مَا يُوجِبُهُ حَقُّكَ لَأُخْجِفَ بِنَا
أَدْنَى حُقُوقِكَ وَلَكِنَّهَا عَلَى قَدَرٍ مَا يُخْرِجُ مِنَ الْوَحْشَةِ وَيُوجِبُ
الْأُنْسَ وَقَدْ بَعَثْتُ بِكَذَا وَكَذَا.

(١) هو إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور العباسي الهاشمي أبو إسحاق ويقال له ابن شكلة الأمير أخو هارون الرشيد. ولد سنة ١٦٢ هـ / ٧٧٩ م ونشأ في بغداد وولاه الرشيد إمرة دمشق ثم عزله عنها بعد سنتين ثم أعاده إليها فأقام فيها أربع سنين. ولما انتهت الخلافة إلى المأمون كان إبراهيم قد اتخذ فرصة اختلاف الأمين والمأمون للدعوة إلى نفسه وبإيعاه كثيرون ببغداد، فطلبه المأمون فاستتر، فأهدر دمه، فجاءه مستسلمًا، فسجنه ستة أشهر ثم طلبه إليه وعاتبه على عمله، فاعتذر فعفا عنه، وكانت خلافته ببغداد سنتين إلا خمسة وعشرين يومًا "٢٠٢ هـ - ٢٠٤ هـ" وتغلب على الكوفة والسواد والمأمون بخراسان وأقام في استتاره ست سنين وأربعة أشهر وعشرة أيام وظفر به المأمون سنة ٢١٠ هـ وكان أسود حالك اللون، عظيم الجثة، وليس في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانًا ولا أجود شعرًا. وكان وافر الفضل حازمًا واسع الصدر، سنجي الكف، حاذقًا بصنعة الغناء، وأمه جارية سوداء، اسمها "شكلة" نسبة إليها خصوصه. مات في سر من رأى سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٩ م وصلى عليه المعتصم.

انظر المزيد في: وفيات الأعيان ٨/١، الأغاني ١٠/٦٣ و ٦٤، لسان الميزان ٩٨/١، تاريخ بغداد ٦/١٤٢، أشعار أولاد الخلفاء ١٧ - ٤٩.

فَضْلٌ

فِي التَّهَانِيءِ

كُتِبَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْعَمِيدِ إِلَى عَضِدِ الدَّوْلَةِ يَهْنُئُهُ بَوْلَدَيْنِ
أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ الْأَجَلِ عَضِدِ الدَّوْلَةِ وَأَدَامَ عِزَّهُ وَتَأَيَّدَهُ
وَعُلُوَّهُ وَتَمَهَّيْدَهُ وَبَسَطَتْهُ وَتَوَطَّيْدَهُ وَظَاهَرَ لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدَهُ
وَهَنَأَهُ بِمَا أَحْظَاهُ بِهِ عَلَى قُرْبِ الْبِلَادِ مِنْ تَوْفْرِ الْأَعْدَادِ وَتَكَثُّرِ
الْإِمْدَادِ وَتَثْمَرِ الْأَوْلَادِ وَأَرَاهُ مِنَ النَّجَابَةِ فِي النَّبِيِّينَ وَالْأَسْبَاطِ مَا أَرَاهُ
مِنَ الْكَرَمِ فِي الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ وَلَا أَخْلَى عَيْنَهُ مِنْ قُرَّةٍ وَنَفْسُهُ مِنْ
مَسْرَةٍ وَمُتَجَدِّدِ نِعْمَةٍ وَمُسْتَأْنَفِ مَكْرَمَةٍ وَزِيَادَةِ فِي عَدَدِهِ وَفَسَحِ
فِي أَمَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ غَايَةَ مَهْلِهِ وَيَسْتَعْرِقَ نِهَايَةَ أَمَلِهِ وَيَسْتَوْفِيَ
مَا بَعْدَ حُسْنِ ظَنِّهِ وَعَرَفَهُ اللَّهُ السَّعَادَةَ فِيمَا بُشِّرَ بِهِ عَبْدُهُ مِنْ طُلُوعِ
بَدْرَيْنِ هُمَا انْبِعَاثُ مِنْ نُورِهِ وَاسْتِنَارَا مِنْ دُورِهِ وَحَقًّا بِسِرِّهِ وَجَعَلَ
وَقَدْهُمَا مُتَلَايَمَيْنِ وَوَرُودَهُمَا تَوَاقُمَيْنِ بِشَيْرَيْنِ بَيِّنَاظَرِ النِّعَمِ وَتَوَاقُرِ
الْقَسَمِ وَمُؤَدِّنَيْنِ بِتَرَادُفِ سَنَيْنِ يُشْرِقُ بِنُورِهِمْ أَفُقُ الْعِلَاءِ وَيَنْتَهِي
بِهِمْ أَمَدُ النِّعَاءِ إِلَى غَايَةِ تَقْوَتْ غَايَةِ الْإِحْصَاءِ.

وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمداني إلى طاهر الداوردی
يهنئة بمولود

حَقًّا لَقَدْ أَنْجَزَ الْإِقْبَالَ وَعَدَهُ وَوَافَقَ الطَّالِعُ سَعْدَهُ
وَإِنَّ الشَّانَ لَفِيمَا بَعْدَهُ وَحَبِذَا الْأَصْلُ وَقَرْعُهُ وَبُورِكَ الْغَيْثُ
وَصُوبُهُ وَأَيَّنَعَ الرُّوْضُ وَنَوْرُهُ وَحَبِذَا سَمَاءُ أَطْلَعَتْ فَرَقْدًا وَغَابَةً
أَبْرَزْتَ أَسَدًا وَظَهَرُ وَافَقَ سَنَدًا وَذَكَرُ يَبْقَى أَبَدًا وَمَجْدُ يُسْمَى وَلَدًا
وَشَرَفُ لُحْمَةٍ وَسَدَى :

أَنْجَبَ كُلُّ مَنْ وَالِدِيهِ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعَمَ مَا نَجَلَا
فَالْفَيَاهُ شِهَابُ ذَكَاءٍ وَبَذَرُ عَلَاءٍ :

وَوَجَدَاهُ ابْنَ جَلَا أَبْيَضَ يُدْعَى الْجَفَلَى
لِثَلْثِهِ أَوْ لَا فَلَا إِذَا النَّدَى احْتَفَلَا

وكتب بعضهم يهنئ صديقاً له بالقدوم من سفر
أَهْنِئْ سَيِّدِي وَنَفْسِي بِمَا يَسَّرَ اللَّهُ مِنْ قُدُومِهِ سَالِمًا وَأَشْكُرُ
اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ شُكْرًا دَائِمًا غَيْبُهُ الْمَكَارِمَ مَقْرُونَةً بِغَيْبَتِكَ
وَأَوْبَةُ النِّعَمِ مَوْصُولَةٌ بِأَوْبَتِكَ فَوَصَلَ اللَّهُ تَعَالَى قُدُومَكَ
مِنَ الْكَرَامَةِ بِأَضْعَافٍ مَا قَرَنَ بِهِ مَسِيرَكَ مِنَ السَّلَامَةِ .

وكتب بعضهم تهنئةً بالنيروز

أَقْبَلَ النِّيرُوزُ إِلَى سَيِّدِنَا نَاشِرًا حُلَّةَ الَّتِي اسْتَعَارَهَا مِنْ شَيْمَتِهِ
وَمُبْدِيًا جَلِيَّتَهُ الَّتِي اتَّخَذَهَا مِنْ سَجِيَّتِهِ وَمُسْتَصْحِبًا مِنْ أَنْوَارِهِ
مَا اقْتَبَسَهُ مِنْ جُودِهِ وَإِنْعَامِهِ وَمُؤَكِّدًا لِلْوَعْدِ بِطُولِ بَقَائِهِ حَتَّى
يَمْلُ الْعُمُرَ وَيَسْتَغْرِقَ الدَّهْرَ فَلَا زَالَ يَلْبَسُ الْأَيَّامَ وَيُبْلِيهَا وَهُوَ
جَدِيدٌ وَيَقْطَعُ مَسَافَةَ نَحْسِهَا وَهُوَ سَعِيدٌ وَلَا زَالَ آمِرًا نَاهِيًا قَاهِرًا
عَالِيًا تَتَهَيَّأُ الْأَعْيَادُ بِمُصَادَقَةِ سُلْطَانِهِ وَتُسْتَفِيدُ الْمَحَاسِنَ مِنْ
رِيَاضِ إِحْسَانِهِ.



فَضْلٌ

فِي الاسْتِزَارَةِ

كُتِبَ الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ حَسْدَايَ إِلَى
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ طَاهِرٍ

مَحَلُّكَ أَعَزُّكَ اللَّهُ فِي طَى الْجَوَانِحِ ثَابِتٌ وَإِنْ تَرَحَّتِ الدَّارُ
وَعِيَانُكَ فِي أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ بَادٍ وَإِنْ شَحَطَ الْمَزَارُ فَالْنَفْسُ فَائِزَةٌ
مِنْكَ بِتَمَثُّلِ الْخَاطِرِ بِأَوْفَرِ الْحِظِّ وَالْعَيْنِ نَارِزَةٌ إِلَى أَنْ تَمْتَعَ مِنْ
لِقَائِكَ بِظَفَرِ اللَّحْظِ فَلَا عَائِدَةَ أَسْبَعُ بُرْدًا وَلَا مُوهِبَةَ أَسْوَعُ وَرْدًا
مِنْ تَفَضُّلِكَ بِالْخُفُوفِ إِلَى مَنْسٍ يَتِمُّ بِمُشَاهَدَتِكَ الْبِنَاءُ وَيَتَّصِلُ
بِمُحَاضَرَتِكَ انْتِظَامُهُ وَلَكَ فَضْلُ الْإِحْمَالِ بِالْإِمْتِنَاعِ مِنْ ذَلِكَ بِأَعْظَمِ
الْأَمَالِ وَحَسْبِي مَا تَتَحَقَّقُهُ مِنْ نِزَاعِي وَتَشَوُّقِي وَتَتَيَقَّنُهُ مِنْ تَطَلُّعِي
وَتَتَوَقُّعِي وَقَدْ تَمَكَّنَ الْإِرْتِيَاحُ بِاسْتِحْكَامِ الثَّقِيَّةِ وَاعْتَرَضَ الْإِنْتِزَاحُ
بَارْتِقَابِ الصَّلَةِ وَأَنْتَ وَصَلَّ اللَّهُ سَعْدَكَ بِسَمَاحَةِ شَيْمِكَ وَبَارِعِ
كَرَمِكَ تُنْشِئُ لِلْمُؤَانَسَةِ عَهْدًا وَتُورِي بِالْمُكَارَمَةِ زَنْدًا وَتَقْتَضِي
بِالْمُشَارَكَةِ شُكْرًا حَافِلًا وَحَمْدًا لَأَزَلْتَ مِنْهَا بِالسُّعُودِ الْمُقْتَبِلَةِ مُسَوِّغًا

اجْتِلَاءَ غُرَزِ الْأَمَانِيِّ الْمُتَهَلِّلَةِ بِمَنْهِ وَكَرَمِهِ.

وَكَتَبَ الْوَزِيرُ الْكَاتِبُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ السَّقَاطِ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ
يَوْمَنَا أَعَزَّكَ اللَّهُ يَوْمَ قَدْ نُقِبْتَ شَمْسُهُ بِقِنَاعِ الْغَمَامِ وَذُهِبَتْ
كَأْسُهُ بِشُعَاعِ الْمَدَامِ وَنَحْنُ مِنْ قِطَارِ الْوَسْمِيِّ فِي رِدَاءِ هَدْيٍ وَمِنْ
نَضِيرِ النُّوَارِ عَلَى نَظِيرِ النَّظَارِ وَمِنْ بَوَاسِمِ الزُّهْرِ فِي لَطَائِمِ الْعِطْرِ
وَمِنْ غُرِّ الْفُتَمَانِ بَيْنَ زَهْرِ الْبُسْتَانِ وَمِنْ حَرَكَاتِ الْأَوْتَارِ خِلَالَ
نَعَمَاتِ الْأَطْيَارِ وَمِنْ سُقَاةِ الْكُفُوسِ وَمُعَاطِي الْمَدَامِ بَيْنَ مُشْرِقَاتِ
الشُّمُوسِ وَعَوَاطِي الْأَرَامِ فَرَأَيْكَ فِي مُصَافَحَةِ الْأَقْفَارِ وَمُفَافَحَةِ
الْأَنْوَارِ وَاجْتِلَاءِ غُرْرِ الطُّبَاءِ الْجَوَازِي وَانْتِقَاءِ دُرَرِ الْغِنَاءِ الْجَبَازِي
مُوقَفًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَكَتَبَ الصَّاحِبُ ابْنُ عَبَّادٍ^(١) إِلَى صَدِيقٍ لَهُ

(١) هو إسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم الطالقاني وزير غلب عليه
الأدب فكان من نوادر النهر علماً وفضلاً وتديباً وجودة رأى. استوزره مؤيد
الدولة ابن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد
الدولة من صباه فكان يدعوه بذلك. ولد في الطالقان سنة ٣٢٦هـ / ٩٣٨م من
أعمال قزوین وإليها نسبته وتوفي بالرى ونقل إلى أصبهان سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م
فدفن فيها. له تصانيف جليلة منها "المحيط" سبع مجلدات في اللغة وكتاب
"الوزراء" و"الكشف عن مساوئ شعر المتنبي" و"الإقناع في العروض وتخريج
القوافي" و"عنوان المعرف وذكر الخلائف" رسالة و"الأعياد وفضائل النيروز" =

نَحْنُ يَا سَيِّدِي فِي مَجْلِسِ غَنَى الْإِعْنِكَ شَاكِرِ الْإِمْنِكَ قَدْ
تَفْتَحَتْ فِيهِ عُيُونُ النُّرَجِسِ وَتَوَرَّدَتْ خُدُودُ الْبِنْفَسِجِ وَفَاحَتْ
مَجَامِرُ الْأَتْرُجِ وَفُتِقَتْ فَأَرَاتُ النَّارَنَجِ وَأَنْطَلَقَتْ أَلْسُنُ الْعِيدَانِ
وَقَامَتْ حُطَبَاءُ الْأَطْيَارِ وَهَبَّتْ رِيَّاحُ الْأَقْدَاحِ وَنَفَقَتْ سُوقُ الْأَنْسِ
وَقَامَ مُنَادِي الطَّرَبِ وَامْتَدَّ سَحَابُ النَّدِّ فَبِحَيَاتِي إِلَّا مَا حَضَرَتْ
فَقَدْ أَبَتْ رَاحَ مَجْلِسِنَا أَنْ تَصْفُقَ إِلَّا أَنْ تَتَنَاوَلَهَا يُفْنَاكَ وَأَقْسَمَ
غَنَاؤُهُ أَنْ لَا يَطِيبَ حَتَّى تَعِيَهُ أُنْذَاكَ فَخُدُودُ نَارَنَجِهِ قَدْ احْمَرَّتْ
خَجَلًا لِإِبْطَائِكَ وَعُيُونُ نُرَجِسِهِ قَدْ حَدَقَتْ تَأْمِيلًا لِلْقَائِكَ.

وكتب أبو الطيب المتنبىء إلى صديق له كان يزوره أيام

اعتلاله وانقطع عنه عند إبلاله

وَصَلَّتْ نِيَّ وَصَلَكَ اللَّهُ مُعْتَلًّا

وَقَطَعْتَ نِيَّ مُبِلًّا فَإِنْ رَأَيْتَ

أَنْ لَا تُكْدِرَ الصِّحَّةَ عَلَيَّ

وَلَا تُحَبِّبَ الْعِلَّةَ إِلَيَّ فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

== وجمعت رسائله في كتاب سمي "المختار من رسائل الوزير ابن عباد" وله شعر
فيه رقة وعدوبة وتواقيعه أية الإبداع في الإنشاء.

انظر المزيد في: معجم الأدباء ٢/ ٢٧٣ - ٣٤٣، معاهد التنصيص ٤/ ١١١،
تاريخ ابن الوردي ١/ ٣١٢، تاريخ ابن خلدون ٤/ ٤٦٦، وفيات الأعيان ١/ ٧٥،
المنتظم ٧/ ١٧٩، إنباه الرواة ١/ ٢٠١، لسان الميزان ١/ ٤١٣.

فَضْلٌ

فِي الْوَصَاةِ

كُتِبَ الْجَا حَظْ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ فَلَانًا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ بِنَا يَلْزِمُنَا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ مَوَاقِفَتِهِ
مِنْ أَيْدِيكَ عِنْدَنَا وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ الثِّقَةِ مِنْ مُكَافَأَتِهِ فَأُولُنَا فِيهِ
مَا يُعْرِفُ بِهِ مَوْقِعُنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَيَكُونُ مُكَافَأَةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا.

وَكُتِبَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يَحْيَى إِلَى بَعْضِهِمْ

حَسْبُ مُوَصِّلِ كِتَابِي عَلَيْكَ كَحَقِّهِ عَلَيَّ إِذْ جَعَلَكَ مَوْضِعًا لَأَمْلِهِ
وَرَأَى أَهْلًا لِحَاجَتِهِ وَقَدْ أَنْجَزْتُ حَاجَتَهُ فَصَدَّقْ أَمْلَهُ.

وَكُتِبَ أَبُو بَكْرُ الْخَوَارِزْمِيُّ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ

الْأَيَّامُ أَيْدِكَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَرَاجِمَةٌ لِي عَنْ صِحَّةٍ وَفَائِكَ
وَشُهُودٌ عِنْدِي عَلَى صِدْقِ إِخَائِكَ وَأَقْلُ حَقُوقِكَ عَلَى يَلْزَمِي
أَنْ لَا أَشْغَلَ لِسَانِي بِغَيْرِ شُكْرِكَ وَلَا قَلْبِي إِلَّا بِذِكْرِكَ وَلَوْ تَجَاوَزَ
طَبَقَاتُ أَهْلِ مَوَدَّتِكَ فِي مَيْدَانِ الْمَقَّةِ وَتَنَازَعُوا حَصْلَ الْأُنْسِ وَالثِّقَةِ

رَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ سَابِقًا لَيْسَ لَهُ سَابِقٌ وَلَا يُذَكِّرُ مَعَهُ لَاحِقٌ وَأَنْ
تُجْلِيَ الْغَايَةَ مِنِّي عَنْ مَحَبَّةٍ مُرَبَّاةٍ بِالْوَفَاءِ وَعَنْ شُكْرِ مُرْضِعٍ
بِالدُّعَاءِ وَقَدْ بَلَغَنِي خَبَرُ سَعْيِكَ لِفُلَانٍ فِي الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ دُونَ
قَدْرِهِ وَإِنْ كَانَ فَوْقَ أَعْمَالِ عَصْرِهِ فَشُكْرُكَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ بِشُكْرِكَ
أَوْفَى وَأَمْلَى وَبِإِيْفَائِكَ حَقَّكَ أَحَقُّ وَأَوْلَى وَأَرَدْتُ أَنْ أَكِلَ شُكْرَكَ
إِلَيْهِ وَلَا أَتَطْفَلَ فِيهِ عَلَيْهِ فَكَرِهْتُ أَنْ تَطْوِيَ صَحِيفَةُ الشُّكْرِ وَلَمْ
يَجْرِ لِي فِيهَا اسْمٌ وَأَنْ تُخْتَمَ جَرِيدَةُ الْمَشَارَكَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِي فِيهَا
قِسْمٌ فَذَكَرْتُهُ لَكَ وَأَنْتَ لَهُ أَذْكَرُ وَشُكْرُكَ عَنْهُ وَهُوَ لَكَ مِنِّي أَشْكُرُ
عَلَى أَنِّي أَرْغَبُ بِذَلِكَ الْحَرُّ عَنِ التَّلَطُّخِ بِأَوْضَارِ الْأَعْمَالِ فَإِنَّهَا
مَزَالِقُ أَقْدَامِ الرُّجَالِ ضُنَّا بِهِ عَنْ تَخَالِيطِ الْأَيَّامِ وَصِيَانَةِ لِمَحَلِّهِ عَنْ
مُدَانَسَةِ الْأَوْهَامِ وَنِعْمَتِكَ عَلَيْهِ مُقْتَسَمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَلْ أَكْثَرُهَا لِي
دُونَهُ فَمَا ظَنُّكَ بِعَارِفَةٍ وَاحِدَةٍ تُكْسِبُكَ شُكْرَيْنِ وَتَسْتَعْبِدُ لَكَ حُرَيْنِ
وَجَدِيرٍ يَمْنُ هَطَلَتْ عَلَيْهِ سَحَابُ غَنَائِنِكَ وَرَفَرَتْ حَوْلَهُ أَجْنِحَةُ
رِعَايَتِكَ أَنْ يَبْنُو عَنْهُ سَيْفُ الزَّمَانِ مَثْلُومًا وَيَرْجِعَ عَنْ سَاحَتِهِ
عَسْكَرُ الزَّمَانِ مَهْزُومًا وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَسْأَلُ أَنْ لَا يَحْرِمَكَ نِعْمَةٌ يُمْدُ
إِلَيْكَ بِهَا عُنُقُ وَدُودٍ وَمِنَّةٌ تَفْقَأُ عَنْكَ عَيْنَ حَسُودٍ بِفَنِّهِ وَكَرَمِهِ

وَكُتِبَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ إِلَى مَالِكِ بْنِ طُوقٍ^(١) فِي

ابْنِ أَبِي الشَّيْصِ

كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ بِعَمِينِي وَفَرَعْتُ لَهُ ذَهْنِي فَمَا ظَنُّكَ بِحَاجَةِ
هَذَا مَوْقِعُهَا مِنِّي أَتُرَانِي أَقْبِلُ الْعُذْرَ فِيهَا أَوْ أَقْصُرُ فِي الشُّكْرِ
عَلَيْهَا وَابْنُ أَبِي الشَّيْصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَنَسَبَهُ وَصَفَاتِهِ وَلَوْ كَانَتْ
أَيْدِينَا تَنْبَسُطُ بِبِرِّهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا فَاکْتَفِ بِهَذَا مِنَّا.

(١) هو مالك بن طوق بن عتاب التغلبي أبو كلثوم أمير، كان من الأشراف
الفرسان الأجواد، ولي إمرة دمشق للعتوكل العباسي وبنى بمساعدة الرشيد بلدة
الرحبة التي على الفرات، وتعرف برحبة مالك نسبة إليه وكثر سكانها في أيامه.
وكان فصيحاً له شعر، مات سنة ٢٥٩ هـ.

انظر المزيد في: فوات الوفيات ٢/ ١٤٢، معجم البلدان ٤/ ١٣٦، نول الإسلام
١/ ١٢٣، النجوم الزاهرة ٣/ ٣٢، الشريشي ١/ ١٤٥، رحلة ابن جبير ٢٤٨.

فَضْلٌ

فِي الشُّكُوى

كتب أبو بكر الخوارزمي إلى صاحب ديوان الحضرة وقد طُول
أبو بكر بحضور الديوان فلم يفعل

هَذَا أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ حَالُ نَيْسَابُورٍ وَأَهْلِهَا بَلْ
حَالِي وَحَالُ الْأَخْرَارِ فِيهَا.

وَأَصْبَحَ أَقْوَامٌ يَقُولُونَ مَا اشْتَهَوْا

وَعَابَ أَبُو عَمْرٍو وَعَابَتْ رَوَاجِلُهُ

وَقَدْ كُنْتُ آوَى مِنَ الشَّيْخِ أَيَّامَ مُقَامِهِ بِهَذِهِ الْجَنَبَةِ إِلَى كَنَفِ
رَحِيْبٍ وَجَنَابِ خَصِيْبٍ وَبَابٍ وَاسِعٍ وَنَائِلِ شَائِعٍ وَوَجْهِ إِذَا
نَظَرْتُ إِلَيْهِ قَرَأْتُ نُسخَةَ الْكِرَامِ فِي وَجَنَّتَيْهِ تَلْمَعُ آثَارُ الْكَرَمِ بِنُورِ
أَسَارِيرِهِ وَتُعَرِّفُ بُشْرَى النُّجَاحِ فِي تَبَاشِيرِهِ وَفَمَ يُنْشِرُنِي بِابْتِسَامِهِ
قَبْلَ أَنْ يُبْشِرُنِي بِكَلَامِهِ وَيُجِيبُنِي بِالنُّجْحِ بِإِشَارَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُتْرَجَّمَ
بِعِبَارَتِهِ وَإِذَا رَأَيْتُهُ رَأَيْتُ بَخْتِي قَدْ أَقْبَلَ إِلَيَّ فِي مَعْرِضِ الْكَمَالِ

وَطَالِجَ سَعْدِي قَدْ طَلَعَ عَلَى بَنِيهِ الْأَمَالِ عَنْ يَمِينِي الْجَمَالُ وَعَنْ
يَسَارِي الْجَلَالُ فَأَعْدُوا إِلَى بَابِهِ يُقَدِّمَنِي الْأَمَلُ وَالرَّجَاءُ وَأَرْوَحُ عَنْهُ
فِي شَيْئِي عَنِّي الشُّكْرُ وَالِدُّعَاءُ وَأَحْمِلُ حَوَائِجِي مِنْهُ عَلَى جَبَلِ الْجُودِ
الَّذِي لَا تَحْرُكُهُ الْمَطَالِبُ وَلَا تَثْقُلُ عَلَيْهِ الرُّغَائِبُ بَلْ عَلَى بَحْرِهِ
الَّذِي لَا يُنْزِفُهُ الْإِسْتِقَاءُ وَلَا تُكْذِرُهُ الدَّلَاءُ وَلَا يُرَى قَعْرُهُ وَلَا يُدْرِكُ
غَوْرُهُ وَإِنَّمَا يَصْبِرُ عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ وَيَلْتَذُّ سَمْعُهُ بِاسْتِمَاعِ صَوْتِ
رَحَى الْأَضْرَاسِ مِنْ وَلَدٍ فِي طَالِعِ السُّخَارِ وَغُذِيَ فِي حُجُورِ
الْكَرَمَاءِ وَقُرِعَ سَمْعُهُ مُنْذُ صِبَاهُ بِأَصْوَاتِ الْأَدْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَمُرَّنَ
عَلَى الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ.

وَالثَّقْلُ لَيْسَ مُضَاعَفًا لِيُطَيِّبَ إِلَّا إِذَا كَانَ وَهْمًا بَازِلًا حَتَّى
إِذَا مَا كَادَتْ غُصُونُ آمَالِي تَرْفُ بِعَدَا مَا يَيْبَسَتْ وَوُجُوهُ مَطَالِبِي
تَضْحَكُ بَعْدَ مَا عَبَسَتْ رَمْتَنِي الْأَيَّامُ بِفِرَاقِ الشَّيْخِ فَأَخَذَجَ رَجَائِي
الْحَامِلُ وَجَفَّ ضَرْعُ أُمْلِي الْحَافِلُ وَسَكَتَ لِسَانِي الْقَائِلُ وَفَتَرْتُ
فُتُورَ التَّاجِرِ بَارَ مَتَاعُهُ وَغَابَ مُبْتَاعُهُ شَمْلَهُ وَيُكْرِمُ أَهْلَهُ وَيَعْرِفُ
فَضْلَهُمْ وَفَضْلَهُ وَلَوْ أَنْصَفْتُ الْأَدَبَ بَعْدَ غَيْبَةِ الشَّيْخِ لَرَبَّيْتُهُ مَرْثِيَةً
الْأَمْوَاتِ وَلَا قَمْتُ عَلَيْهِ مَاتَمَ الْمَمَاتِ وَمَحَوْتُ اسْمَهُ مِنْ جَرِيدَةِ
الْحَيَاةِ هَذَا وَقَدْ وَرَدَ عَلَى عَمَلِ الْخُرَاجِ مَنْ لَا أُطْرُقُهُ بِجُرْمَةٍ

وَلَا أَتَنَاوَلَهُ بِطَرْفِ ذَرِيعَةٍ أَوْ وَسِيلَةٍ وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ حَشَدَنِي فِي
جُمْلَةِ الْعَامَةِ وَأَدْخَلَنِي فِي عِمَارِ سَائِرِ الرُّعْيَةِ وَأَوْقَعَنِي عَلَى جِسْرِ
قُدَّامِهِ الْخُسْرَانُ وَخَلَفَهُ الْهُوَانُ وَفَجَعَنِي بِذَرِيهَمَاتٍ جُمِعَتْ بِتَقَحُّمِ
الْمَهَالِكِ وَاخْتِرَاقِ الْمَسَالِكِ وَالْمَالِكِ وَدَنَائِيرِ قَطَعْتَ الْقِفَارَ وَخَاضْتَ
الْبَحَارَ وَنَاطَحْتَ الْحَوَادِثَ وَالْأَقْدَارَ فَإِنْ بَذَلْتُهَا أَبْزَلَ مَصُونًا عَلَى
أَبِي أَحْمِلْ عَلَى الْجَمَالِ التَّجْمُلَ وَأَوْثِرْ الْبَذْلَ عَلَى النَّبْذِ وَأُنْشِدْ
شِعْرًا حَتَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ دَوَاءِ هَذَا الدَّاءِ
لَوْ طَاوَعْتَنِي نَفْسِي الْعَاضِيَةُ وَتَابَعْتَنِي رِجْلِي الْآبِيَةُ. قَدْ خَلْتُ
الدِّيُونَ وَصَانَعْتُ الزَّمَانَ وَفَتَحْتُ جِرَابَ النِّقَاقِ وَالرُّنَاءِ وَأَغْلَقْتُ
بَابَ الْحِفَاطِ وَالْوَفَاءِ وَلَكِنْ النُّظَرَ إِلَى عَيْنِ الشَّمْسِ أَيْسَرُ عَلَى
وَأَهْوَنُ عَلَى عَيْنِي مِنْ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى هَذَا الصُّدْرِ وَقَدْ جَلَسَ فِيهِ غَيْرُ
ذَلِكَ الْبَذْرِ وَإِنِّي لِأَغَارُ عَلَى الْكَرَمِ كَمَا يُغَارُ عَلَى الْحَرَمِ وَأَبْخُلُ
بِالْمَرَاتِبِ كَمَا يَبْخُلُ غَيْرِي بِالْمَكَاسِبِ وَأَسْتَحْيِي لِعَيْنِي أَنْ أَفْتَحَهَا
عَلَى الصَّغِيرِ وَقَدْ جَلَسَ مَجْلِسَ الْكَبِيرِ لَا ابْتِلَانِي اللَّهُ بِمَجَالِسِ
الْغَيْرَةِ وَلَا أَقَامَنِي فِي مَقَامَاتِ الْغُمَةِ وَالْحَيْرَةِ فَإِنْ ابْتِلَانِي بِذَلِكَ
وَجَدَنِي ضَيْقَ سَاحَةِ الصُّدْرِ قَرِيبَ غَوْرِ الصَّبْرِ كَثِيرِ الْمُبَارَاةِ قَلِيلِ
الْمُدَارَاةِ هَذِهِ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ حَالِي فَهَلْ لِي عِنْدَهُ فَرْحٌ أُرْتَجِيهِ

أَوْ نَظَرُ أَتَجَمُّعُ فِيهِ وَهَلْ يُحْرَكُ لَفْظَةٌ مِنْ أَلْفَاظِهِ أَوْ لَحْظَةٌ مِنْ
 الْحَاطَةِ يَرُدُّ بِهَا عَلَى وَجْهِ مَا نَصَبَ مِنْ مَائِهِ وَعَلَى عِرْضِي
 مَا ذَهَبَ مِنْ بَهَائِهِ وَلَعُمْرِي إِنَّ حَاجَتِي إِلَى الشَّيْخِ فِي هَذَا
 الْخَرَجِ صَغِيرَةٌ وَلَكِنِّي لَا أَسْتَصْغِرُ مِنْهُ يَسِيرًا كَمَا لَا أَسْتَعْظِمُ مِنْهُ
 كَبِيرًا وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحُرَّ يَسْعُ الدَّقِيقَ بِفُطْنَتَيْهِ وَالْجَلِيلَ بِهِمَّتِهِ وَإِنْ
 أَبْطَأَ عَنِّي كِتَابُهُ بِالْفَرَجِ خَشِيتُ أَنْ يَسْرِيَ فِي السُّمِّ الْعَرِيطِيِّ إِلَى
 أَنْ يَصِلَ إِلَى التَّرْيَاقِ الْبَاطِي أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ دَائِي نَقْدًا
 وَدَوَائِي وَعَدًا.

وكتب الوزير الكاتب أبو المطرف بن الدَّبَّاعِ إلى ابن حسداى
 كتابى وأنا كما تدريهِ غرضٌ لِلْأَيَّامِ تَرْمِيهِ وَلَكِنِّي غَيْرُ شَاكٍ
 مِنْ آلَمِهَا لِأَنَّ قَلْبِي فِي أَغْشِيَةٍ مِنْ سِسْهَامِهَا فَالْتَّصُلْ عَلَى مِثْلِهِ
 يَقْعُ وَالتَّأَلَّمْ بِهِذِهِ الْحَالَةِ قَدْ ارْتَفَعَ كَذَلِكَ التَّفْرِيعُ إِذَا تَتَابَعَ هَانٌ
 وَالْخُطْبُ إِذَا اشْتَدَّ لِأَنَّ وَالْحَوَاثِ تُنْعَكِسُ إِلَى أَضْدَادِهَا إِذَا تَنَاهَتْ
 فِي اشْتِدَادِهَا وَتَزِيدَتْ عَلَى آمَادِهَا.

وكتب عبد الحميد بن يحيى إلى أهله وهو منهزم مع مروان
 أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الدُّنْيَا مَحْفُوفَةً بِالْكَرْهِ وَالسُّرُورِ فَقَنْ

سَاعَدَهُ الْحَظُّ فِيهَا سَكَنَ إِلَيْهَا وَمَنْ عَصَتْهُ بِنَابِهَا ذَمُّهَا سَاخِطًا
عَلَيْهَا وَشَكَاهَا مُسْتَزِيدًا لَهَا وَقَدْ كَانَتْ أَذَاقُنَا أَفَاوِيقَ اسْتَحْلِينَاهَا
ثُمَّ جَمَحَتْ بِنَا نَافِرَةً وَرَمَحَتْنَا مَوْلِيَةً فَمَلَحَ عَذِبُهَا وَخَشِنَ لَيْنُهَا
فَأَبْعَدْتَنَا عَنِ الْأَوْطَانِ وَفَرَّقَتْنَا عَنِ الْإِخْوَانِ فَالِدَارُ نَارِحَةٌ وَالطَّيْرُ
بَارِحَةٌ وَقَدْ كَتَبْتُ وَالْأَيَّامُ تَزِيدُنَا مِنْكُمْ بُعْدًا وَإِلَيْكُمْ وَجْدًا. فَإِنْ
تَتِمَّ الْبَلِيَّةُ إِلَى أَقْصَى مُدَّتِهَا يَكُنْ آخِرُ الْعَهْدِ بِكُمْ وَبِنَا وَإِنْ يُلْحَقْنَا
ظَفَرُ جَارِحٍ مِنْ أَظْفَارِ مَنْ يَلِيكُمْ تَرْجِعْ إِلَيْكُمْ بِذَلِكَ الْإِسَارِ وَالذُّلِّ
شَرُّ جَارٍ نَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَهَبَ
لَنَا وَلَكُمْ أُلْفَةً جَامِعَةً فِي دَارِ أَمْنَةٍ مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَهَبَ لَنَا وَلَكُمْ
أُلْفَةً جَامِعَةً فِي دَارِ أَمْنَةٍ تَجْمَعُ سَلَامَةَ الْأَبْدَلِ وَالْأَدْيَانِ فَإِنَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

وكتب الأمير أبو الفضل الميكالي من رسالة

إِنَّمَا أَشْكُو إِلَيْكَ زَمَانًا سَلَبَ ضِعْفَ مَا وَهَبَ وَفَجَعَ بِأَكْثَرِ
مِمَّا مَتَّعَ وَأَوْحَشَ فَوْقَ مَا آتَسَ وَعَنْفَ فِي نَزْعِ مَا أَلْبَسَ فَإِنَّهُ لَمْ
يُذِقْنَا حَلَاوَةَ الْإِجْتِمَاعِ حَتَّى جَرَعْنَا مَرَارَةَ الْفِرَاقِ وَلَمْ يُمَتِّعْنَا بِأَنْسِ
الِإِلْتِقَاءِ حَتَّى غَادَرْنَا رَهْنَ التُّلْهُفِ وَالْإِسْتِيَاقِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى
عَلَى كُلِّ حَالٍ يَسُوءُ وَيَسُرُّ وَيَحْلُو وَيَمُرُّ وَلَا أَيْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ

فِي إِبَاحَةٍ صُنْعٍ يَجْعَلُ رُبْعَهُ مُنَاجِي وَيُقْصِرُ مُدَّةَ الْبِعَادِ وَالتَّرَاجِي
فَالْأَحْظُ الزَّمَانِيَّيْنِ رَاضٍ وَيُقْبَلُ إِلَى حَظِّي بَعْدَ إِعْرَاضٍ وَأَسْتَأْنِفُ
بِعِزَّتِهِ عَيْشًا جَنْبَ الْمَوَارِدِ وَالْمَنَاهِلِ مَأْمُونِ الْآفَاتِ وَالْغُرَانِ.

فَضْلٌ

فِي التَّعَاذِي

كتب أبو الفضل بديعُ الزمانِ الهَمْدانيُّ إلى أبي عامر
عدنان بن محمد الضبي

إِذَا مَا الدُّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ
ذَلَّذِلَهُ أَنْبَاخُ بَاخِرِينَنا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا
سَيَلْقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا
حَسَنُ مَا فِي الدُّهْرِ عُمُومُهُ بِالنَّوَائِبِ
وَحُصُوصُهُ بِالرَّغَائِبِ
فَهُوَ يَدْعُو الْجَفَلَى إِذَا سَاءَ
وَيَخْصُصُ بِالنَّعْمَةِ إِذَا شَاءَ
فَلْيَفْكُرِ الشَّامِتُ فَإِنْ كَانَ أَفْلَتَ
فَلَنَّهُ أَنْ يَشْمَتَ وَلْيَنْظُرِ

الْإِنْسَانُ فِي الدَّهْرِ وَصُرُوفِهِ
 وَالْمَوْتُ وَصُنُوفُهُ مِنْ
 فَاتِحَةِ امْرِئِهِ إِلَى خَاتِمَةِ عُمْرِهِ
 هَلْ يَجِدُ لِنَفْسِهِ أَثَرًا فِي نَفْسِهِ
 أَمْ لِتَدْبِيرِهِ عَوْنًا عَلَى تَصْوِيرِهِ
 أَمْ لِعَمَلِهِ تَقْدِيمًا لِأَمَلِهِ
 أَمْ لِحِيلِهِ تَأْخِيرًا لِأَجَلِهِ
 كَلَابَ بُلُ الْعَبْدُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا
 مَذْكُورًا خُلِقَ مَقْهُورًا
 وَرَزَقَ مَقْدُورًا تَحِيًّا جَبْرًا

وَيَهْلِكُ صَبْرًا وَلِيَتَأَمَّلَ الْمَرْءُ كَيْفَ كَانَ قَبْلًا فَإِنْ كَانَ الْعَدَمُ
 أَصْلًا وَالْوُجُودُ فَضْلًا فَلْيَعْلَمْ الْمَوْتُ عَذْلًا وَالْعَاقِلُ مَنْ رَقَعَ مِنْ
 جَوَانِبِ الدَّهْرِ مَا سَاءَ بِمَا سَرَّ لِيَذْهَبَ مَا نَفَعَ بِمَا ضَرَّ فَإِنْ أَحَبَّ
 أَنْ يَحْزَنَ فَلْيَنْظُرْ يَمْنَةً هَلْ يَرَى إِلَّا مِخْنَةً ثُمَّ لِيُعْطِفَ يَسْرَةً هَلْ
 يَرَى إِلَّا حَسْرَةً وَمِثْلُ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ مَنْ تَبَطَّنَ
 هَذِهِ الْأَسْرَارَ وَعَرَفَ هَذِهِ الدِّيَارَ فَأَعَدَّ لِنَعِيمِهَا صَدْرًا لَا يَمْلَأُهُ
 فَرَحًا وَلِبُؤْسِهَا قَلْبًا لَا يَطِيرُهُ تَرَحُّا وَصَحِبَ الْبَرِيَّةَ بِرَأْيٍ مَنْ يَعْلَمُ

أَنَّ لِلْمَنْبِيَةِ رَحِيَّ وَلَقَدْ نَعِيَ إِلَى أَبُو قَبِيصَةَ قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَبَرَدَ
 ضَرِيحَهُ فَعَرِضَتْ عَلَى آمَالِي قُعودًا وَأَمَانِي سُودًا وَبَكَيْتُ وَجُودَ
 السَّخِيَّ بِمَا يَمْلِكُ وَضَحِكْتُ وَشَرُّ الشَّدَائِدِ مَا يُضْحِكُ وَغَضَضْتُ
 الإِصْبَعَ حَتَّى أَفْنَيْتُهُ وَذَمَمْتُ الْمَوْتَ حَتَّى ثَمَنَيْتُهُ وَالْمَوْتُ أَطَالَ
 اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ خَطْبُ قَدْ عَظُمَ حَتَّى هَانَ وَأَمْرٌ قَدْ خَشِنَ
 حَتَّى لَانَ وَتَكَرَّرَ قَدْ عَمَّ حَتَّى صَارَ عَرْفًا وَالْدُنْيَا قَدْ تَنَكَّرَتْ حَتَّى
 صَارَ الْمَوْتُ أَخْفَ خُطُوبِهَا وَخَبُئَتْ حَتَّى صَارَ أَقْلُ عُيُوبِهَا وَلَعَلَّ
 هَذَا السُّهْمَ قَدْ صَارَ آخِرَ مَا فِي كِنَانَتِهَا وَأَنْكَى مَا فِي خِزَانَتِهَا
 وَنَحْنُ مَعَاشِرُ التَّبَعِ تَتَعَلَّمُ الْأَدَبَ مِنْ أَقْوَالِهِ وَالْجَمِيلَ مِنْ أَعْمَالِهِ
 فَلَا تَحْتَهُ عِلَاضِي الْجَمِيلِ وَهُوَ الصَّبْرُ وَلَا تُرْعِبُهُ فِي الْجَزِيلِ وَهُوَ
 الْأَجْرُ فَلْيَرَّ فِيهِمَا رَأْيَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَلِمَصْصَحِهِ يَعْرِضِي أَحَدَ أَصْدِقَائِهِ بِنَسِيبٍ لَهُ تَوَفَى أَيَّامَ الْوَبَاءِ
 أَشْبَاحُ تَرْوُحٍ وَتَجِيَّ وَآجَالُ تُنْمِسِي وَتَغْتَدِي وَأَنْفَاسُ تَنْتَقِطُ
 مِنْ دُونِهَا حُزْنًا وَأَسْفًا وَعَبْرَاتُ تَنْتَقِطُ وَجَدًّا وَلَهْفًا وَمَا عَمَدَتْ
 الْأَقْدَارُ إِلَى اسْتِنْزَافِ مَدْمَعٍ وَلَا أَرَادَتْ الْأَيَّامُ إِيْلَامَ مُوجَعٍ إِنَّمَا
 هِيَ سُنَّةُ الْخَلْقِ كَوْنٌ يَلِيهِ زَوَالٌ وَعَقْدٌ يَسْبِقُهُ انْحِلَالٌ وَإِنْ لِكُلِّ
 شَيْءٍ أَجَلًا مُوقُوتًا وَإِنْ لِكُلِّ أَجَلٍ سَبَبًا قُدُورًا وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي

كُلُّ ذَلِكَ شَاهِدٌ يَسْمَعُ لَاهِيًا وَيُبْصِرُ سَاهِيًا وَلَيْسَ فِي يَدِهِ أَنْ
يَسْتَرِدَّ مَاضِيًا وَلَا أَنْ يَرُدَّ آتِيًا وَلَقَدْ وَدِدْتُ أَنْ عَزِيكَ لَوْلَا مَا
يُغَالِبُنِي عَلَى الْعَزَاءِ مِنْ كَبِدٍ حَرَّى وَمُقَلَّةٍ شَكْرَى وَزَفَرَةٍ تَتَرَى ثُمَّ
وَدِدْتُ أَنْ أَسْتَبِيكَ لَوْلَا أَنِّي بَكَيْتُ حَتَّى لَمْ أَدْعُ فِي الْبُكَاءِ مِنْ
وَادٍ وَأَحْيَيْتُ لَيَالِي بِالنُّوحِ حَتَّى مَا بِالنُّجْمِ سُهَادٌ ثُمَّ لَمْ يَزِدْنِي
الْبُكَاءُ عَلَى سُقْمِ جَسَدِي وَلَمْ يَزِدْنِي النُّوحُ عَلَى صَفَرِ يَدِي إِلَّا
مِنْ كَبِدِي. فَإِنَّ الْأَقْدَارَ سَهَامٌ إِذَا انْطَلَقَتْ لَمْ تُرَدْ وَإِنَّ الْمُتَطَلِّعَ إِلَى
الْقَائِتِ لَطَوِيلُ شُقَّةِ الْكَمَدِ وَإِنَّ الْخُطُوبَ لَهِيَ هِيَ وَإِنَّمَا تَتَفَاوَتْ
عِنْدَ الْجَلْدِ.

وَإِنَّ الْحَصَى عِنْدَ الْجَزُوعِ ثَقِيلَةٌ
وَضَخَمَ الصِّفَا عِنْدَ الصُّبُورِ خَفِيفٌ

وَإِنِّي لَأَرْجُو فِي عَقْلِكَ وَحِلْمِكَ أَنَّكَ قَدْ صَرْتَ مِنْ جَانِبِ الْعَزَاءِ
ثُمَّ أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى نَجَاتِكَ إِنْ لَنَا فِي بَقَائِكَ الْعِوَضَ وَالتَّاسَاءَ فَلَقَدْ
قَلْبْتُ الْقُلُوبَ عَلَى جَمَرَاتٍ لَا تَدْرِي أَيُّهَا أَذْكِي ضَرَامًا ثُمَّ أَوْرَدْتُهَا
مِنْ سَلَامَتِكَ مَا رَأَتْ الشُّكُوى بَعْدَهُ ظُلْمًا وَالتَّظَلُّمَ حَرَامًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ أَسْئُولُ فِي إِطَالَةِ بَقَائِكَ قُرَّةٌ لِلْعُيُونِ وَجَبْرٌ
لِخَاطِرِ الْمَحْزُونِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

ولمصححه أيضًا إلى صديق له جوابًا عن كتاب ينعى إليه فيه
أحد انسيائه ويعزيه بنسيب له

وَرَدَ كِتَابُكَ يَتَجَادِبُهُ طَرْفَانِ مِنْ نَعْيٍ وَتَعْزِيَةٍ وَيَضْرِبُ عَلَيْهِ
لُونَانٍ مِنْ شَجْوٍ وَنَسْلِيَةٍ فَمَنْ لِي بِعَبْرَتَيْنِ تَجْرِي إِحْدَاهُمَا وَتَرْقَأُ
الْأُخْرَى وَمَنْ لِي بِقَلْبَيْنِ يَذُوبُ أَحَدُهُمَا جَرَعًا وَيَجْمُدُ الْآخَرُ
صَبْرًا بَلْ كَيْفَ يَصِيرُ جَرِيحُ ضَرْبِهِ الدَّهْرُ بِسَيْفَيْنِ وَجَرَعُهُ
الْبُلْوَى بِكَأْسَيْنِ فَمَرْجَ عِبْرَةٍ بِعِبْرَةٍ وَتَابَعَ حَسْرَةً إِثْرَ حَسْرَةٍ
وَبَاتَ لَا يَجِدُ إِلَى الصَّبْرِ دَلِيلًا وَلَا يَهْتَدِي إِلَى الْعَزَاءِ سَبِيلًا
وَلَكِنْ الْأَمْرُ فَوْقَ مَا تَجْرِي الْجُفُونُ وَمَا تُثِيرُ الشُّجُونُ وَأَمَرَ اللَّهُ
وَأَقْعَ لَا يَدْفَعُهُ دَافِعٌ وَالْدَّمَعُ لَا يُسِيغُ غُصَّةً وَالْوَجْدُ لَا يُزِيلُ
كُرْبَةً.

وَإِذَا حَصَلَتْ مِنَ السَّلَاحِ عَلَى الْبِكَا
فَحَشَاكَ رُعْتَ بِهِ وَخَذَكَ تَقْرِعُ

فَمَا لَنَا إِلَّا السَّعْيُ وَرَاءَ مَا نَدُّ مِنَ الصَّبْرِ نُكْرُهُ عَلَيْهِ النَّفْسُ وَإِنْ
كَانَ أَحَدُ الْمُرَيْنِ وَالْإِلْتِجَاءُ إِلَى الرِّضَى بِالْمَكْتُوبِ نُدَاوَى بِهِ الْقَلْبَ
وَإِنْ كَانَ أَحَدُ الدَّاءَيْنِ وَحَسَبْنَا اللَّهَ وَكَيْلًا.

وكتب أبو بكر الخوارزمي إلى كثير بن أحمد يعزيه بابتة له
نحن معاشر أولياء الشيخ ومتحفلي أعباء نعمته والمتسمين بسمة
كلمته إذا صدئت قرائحنا وفسدت أذهاننا جلوناها بفجالتيه
وغسلنا عنها وضر التغيير باتبا طريقته وسسنا أنفسنا بما تراه
وتعلمه من سياسته لبطانيته ثم لرعيته وإذا كانت الحال هذه
فمن المحال أن نبيع على الشيخ ما اشتريناه منه وأن نجلب
إليه ما جلبناه عنه وأن نقيم أنفسنا مقام المعلمين ونقيمه مقام
المتعلمين وأن نحمل إليه مواعظ بذله كلامه منها أبرع وبداءه
توقيعاته منها أبدع ولكن لابد للمحب أن ينطق لسانه وقلمه
بما يترجم به عن ودائع صدره ويعبر عن نيته وسره ولا بد لمن
شارك ربيبه في أيام الرخاء والمواهب من أن يشاركه في أيام
الغوم والمصائب ليكون قد خدمه في التوبتين وتصرف معه على
الحالتين وأثبت اسمه في جريدة الشركاء المساهمين مرتين وبلغني
خبر المصيبة فاغتممت بها غمين ونفذت إلى سهام الفجيعة من
طريقين أما إحداهما أنني أغار على هذه الجنبه الكريمة وعلى
هذه الدولة المستقيمة من أن تنفذ فيها رمية الزمان أو تتناولها
يد من أيدي النقصان وأما الثانية فهي أنني علمت أن الفجيعة

إِذَا لَمْ تَارَبْ بِجَيْشِ الْبُكَاءِ وَلَمْ تُقَاتِلْ بِالْإِذَاعَةِ وَالْإِشْتِكَاءِ تَضَاعَفَ
دَاوُهَا وَزَادَتْ أَعْبَاؤُهَا وَإِنَّمَا الْغَمُّ سُومٌ يَرِيْقُهُ الْمَبَاثَةُ وَالْمَوْتُ خَرْقُ
رَفْوَةِ التَّسْلِيَةِ وَالتَّعْزِيَةِ قَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

لَعَلَّ انْجِدَارَ الدُّمْعِ يُغَقِّبُ رَاحَةً

مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجَى الْبَلَابِلِ

وَإِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عَيْنٍ تُصِيبُ طَرَفًا مِنْ أَطْرَافِ الْكَمَالِ وَلَا بُدَّ مِنْ
عُودَةٍ يُعَوِّذُ بِهَا وَجْهَ الْجَمَالِ فَلَأَنْ تَكُونَ الْوَاقِعَةُ فِي الصَّغِيرِ خَيْرٌ
مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي الْكَبِيرِ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي طَيِّ الْمِحْنَةِ
مِنْحَةً وَمَزَجَ بِالترَّخَةِ فُرْخَةً فَسَتَرَ عَوْرَةً مِنْ حَيْثُ سَلَبَ أَنْسَا
وَنَزَهَةً وَكَفَى مَوُوءَةً مِنْ حَيْثُ جَلَبَ فَجِيعَةً وَأَبْقَى الْكَبِيرَ الْكَثِيرَ
مِنْ حَيْثُ أَخَذَ صَغِيرَةً وَاحِدَةً وَجَمَلَ الْإِدَا مِنْ حَيْثُ أَثْكَلَ وَالِدَةً.
وَهَكَذَا تَكُونُ مَصَائِبُ الْمُقْبِلِينَ الْمَجْدُودِينَ فَإِنَّ الدَّهْرَ إِذَا سَاءَ لَهُمْ فِي
الْقَلِيلِ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ فِي الْجَلِيلِ وَإِذَا كَاشَفَهُمْ فِي الْخَفِيِّ الْمُسْتَوْرِ
صَانَعَهُمْ فِي الْجَلِيِّ الْمَشْهُورِ وَالْمَدَابِيرُ أَمْثَالُنَا فَإِنَّمَا تَكُونُ مُحِنَّتُهُمْ
صَافِيَةً صَرَفًا وَخَالِصَةً بَحْتًا وَالدَّهْرُ يَعْلَمُ أَيْنَ الرِّبُونُ وَمَنْ الْمَغْبُونُ
وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ الْمَتَوَفَاةَ لَوَالِدِيهَا فَرَطًا وَأَجْرًا وَكَنْزًا
مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ وَذُخْرًا. وَأَنْ يَحْشُرَهَا شَفِيعًا تُقْبَلُ شَفَاعَتُهُ وَتُقْضَى
فِي وَالِدِيهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ حَاجَتُهُ وَيُعَوِّضَ عَنْهَا الشَّيْخَ أَخَا لَهَا سَوَى

الْخَلْقِ وَالْخَلْقِ شَرِيفَ الْفِعْلِ وَالْعِرْقِ لِيَسْتَوْفِيَ الشَّيْخُ فِي يَوْمِهِ
أَجَرَ الصَّابِرِينَ وَفِي غَدِهِ جَزَاءَ الشَّاكِرِينَ وَلِيَكُونَ قَدْ قَضَى اللَّهُ
تَعَالَى حَقَّ الرُّبُوبِيَّةِ مِنْ طَرَفِي الْعُبُودِيَّةِ وَأَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْحَادِثَةُ
خَاتِمَةَ حَوَادِثِ الزَّمَانِ وَسَاقَةَ عَسَاكِرِ النِّقْصَانِ فَلَا يَرَى بَعْدَهَا فِي
تِلْكَ الدَّارِ الشَّرِيفَةِ إِلَّا مَوْهَبَةً مَسْظُوقَةً وَفَائِدَةً مُسْتَجَدَّةً مُسْتَأْنَفَةً
حَتَّى يَشْغَلَ بِالتَّهَانِي عَنِ التَّعَازِي وَبِالْمَدَائِحِ عَنِ الْمَرَاثِي.

وكتب عبد الحميد بن يحيى^(١) عن مروان إلى هشام يعز به
بامراً من حظاياها

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمْتَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُنْسِيَّتِهِ وَقَرِيبَتِهِ إِمْتَاعًا

(١) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري بالولاء المعروف بالكاتب عالم
بالأدب من أئمة الكتاب. كان جده مولى للعلاء بن وهب العامري، فنسب إلى بني
عامر يضر به المثل في البلاغة وغنه أخذ المترسلون. أصله من قيسارية، سكن الشام
واختص بمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية في المشرق ويقال: "فتحت الرسائل
بعبد الحميد وختمت بابن العميد" وكان يعقوب بن داود يكتب بين يديه وعليه
تخرج. له "رسائل" تقع في نحو ألف ورقة طبع بعضها وهو أول من الرسائل
واستعمل التحميدات في فصول الكتب ولما قوى أمر العباسيين وشعر مروان بزوال
ملكه قال لعبد الحميد قد احتجت أن تصير إلى عدوى وتظهر الغدر بي وإن إعجابهم
بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك ستحوجهم إلى حسن الظن بك فأبى عبد الحميد مفارقتة
وبقى معه إلى أن قتل معاً في بؤصير بمصر سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م.

انظر المزيد في: وفيات الأعيان ١/ ٣٠٧، الوزراء والكتاب ٧٢ - ٨٣، الشريشي
٢/ ٢٥٣، ثمار القلوب ١٥٥، أمراء البيان ١/ ٣٨ - ٩٨.

مُدَّةً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَلَمَّا تَمَّتْ لَهُ مَوَاجِبُ اللَّهِ وَغَارِيَّتُهُ قَبَضَ إِلَيْهِ
الْعَارِيَّةَ ثُمَّ أَعْطَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الشُّكْرِ عِنْدَ بَقَائِهَا وَالصَّبْرِ عِنْدَ
ذَهَابِهَا أَنْفَسَ مِنْهَا فِي الْمُنْقَلَبِ وَأَرْجَحَ فِي الْمِيزَانِ وَأَسْنَى فِي
الْعِوَضِ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَكَتَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِيُّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ يَعْزِيهِ بِطُفْلِ
الدُّنْيَا أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الرَّئِيسِ أَقْدَارُ تَرُدُّى أَوْقَاتِهَا وَقَضَايَا تَجْرِي
إِلَى غَايَاتِهَا وَلَا يَرُدُّ مِنْهَا شَيْءٌ عَنْ مَدَاهُ وَلَا يُصَدُّ عَنْ مَطْلَبِهِ وَمَنْحَاهُ
فَهِيَ كَالسَّهَامِ الَّتِي تَثْبُتُ فِي الْأَغْرَاضِ وَلَا تَرْجِعُ بِالْإِعْتِرَاضِ
وَمَنْ عَرَفَ ذَلِكَ مَعْرِفَةَ الرَّئِيسِ لَمْ يَأْشُرْ عِنْدَ الزَّيَادَةِ وَلَمْ يَقْنَطْ عِنْدَ
الْمُصِيبَةِ وَأَمِنَ أَنْ يَسْتَخْفَ أَحَدُ الطَّرَفَيْنِ حُكْمَهُ وَيَسْتَنْزِلَ أَحَدُ
الْأَمْرَيْنِ حَزْمَهُ وَلَمْ يَدْعُ أَنْ يُوطَّنَ نَفْسُهُ عَلَى النَّازِلَةِ قَبْلَ نُزُولِهَا.
وَيَأْخُذَ الْأَهْبَةَ لِلْحَالَةِ قَبْلَ حُلُولِهَا وَأَنْ يُجَاوِرَ الْخَيْرَ بِالشُّكْرِ
وَيُسَاوِرَ الْمِحْنَةَ بِالصَّبْرِ فَيَتَخَيَّرَ فَائِدَةَ الْأُولَى عَاجِلًا وَيَسْتَمْرَى
عَائِدَةَ الْآخَرَى آجِلًا. وَقَدْ نَفَذَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْمَوْلَى
الْجَلِيلِ قَدْرًا الْحَدِيثِ سِنًا مَا أَرْمَضَ وَأَمْضَ وَأَقْضَى وَأَقْلَقَ وَأَمْضَ
وَمَسَّنَى مِنَ التَّلَأُّمِ لَهُ مَا يَحِقُّ عَلَى مِثْلَى مِمَّنْ تَوَالَتْ أَيْدَى الرَّئِيسِ
إِلَيْهِ وَوَجِبَتْ مُشَارَكَتُهُ فِي الْمِلْمِ عَلَيْهِ. فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وَعِنْدَ اللَّهِ مَنْ نَحْتَسِبُهُ غُضًّا ذَوَى وَشَهَابًا خَبًا وَفَرْعًا دَلَّ عَلَى
أَصْلِهِ وَخَطِيئًا أَنْبَتَهُ وَشَيْجُهُ وَإِيَّاهُ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَهُ لِلرَّئِيسِ فَرْطًا
صَالِحًا وَذُخْرًا عَتِيدًا وَأَنْ يَنْفَعَهُ يَوْمَ الدِّينِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ إِلَّا مِثْلُهُ
بَيْنَ الْبَيْنِينَ بِجُودِهِ وَمَجْدِهِ وَلَيْتَ كَانَ الْمَصَابُ بِهِ عَظِيمًا وَالْحَادِيثُ
فِيهِ جَسِيمًا هَذَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَإِلَى الرَّئِيسِ فِيهِ أَمَّا إِلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ
نَزَّهَهُ بِالْإِحْتِرَامِ عَنِ اقْتِرَافِ الْآثَامِ وَصَانَهُ بِالْإِحْتِصَارِ عَنِ مَلَابَسَةِ
الْأَوْزَارِ فَوَرَدَ دُنْيَاهُ رَشِيدًا وَصَدَرَ عَنْهَا سَعِيدًا تَقَى الصَّحِيفَةَ مِنْ
سَوَادِ الذُّنُوبِ يَرَى السَّاحَةَ مِنْ دَرَنِ الْعُيُوبِ لَمْ تُدْنَسْهُ الْجَرَائِرُ
وَلَمْ تَغْلُقْ بِهِ الصَّغَائِرُ وَالْكَبَائِرُ قَدْ رَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ دَقِيقَ الْحِسَابِ
وَأَسْهَمَ لَهُ الثَّوَابَ مَعَ أَهْلِ الصَّوَابِ وَالْحَقُّهُ بِالصَّادِقِينَ الْفَاضِلِينَ
فِي الْمَعَادِ وَبَوَّاهُ حَيْثُ فَضَّلَهُمْ مِنْ غَيْرِ سَعَى وَاجْتِهَادٍ وَأَمَّا الرَّئِيسُ
فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا اخْتَارَ ذَلِكَ قَبْضَهُ قَبْلَ رُؤْيَيْهِ عَلَى الْحَالَةِ
الَّتِي تَكُونُ مَعَهَا الرِّفَّةُ وَمُعَايِنَتِهِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَتَضَاعَفُ عِنْدَهَا
الْحُرْقَةُ وَحَمَاهُ مِنْ فِتْنَةِ الْمُرَافَقَةِ لِيَرْفَعَهُ عَنْ جَزَعِ الْمَفَارِقَةِ وَكَانَ
هُوَ الْمُتَقَى لِدُنْيَاهُ وَالوَاجِدَ الدَّخِيرَةَ لِأَخْرَاهُ وَعَزِيزٌ عَلَى أَنْ أَقُولَ
الْمُهَوَّنَ لِلْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا أَوْفَى التَّوَجُّعِ عَلَيْهِ وَاجِبٌ فَقْدِهِ فَهُوَ
لَهُ سُلَالَةٌ وَمِنْهُ بَضْعَةٌ وَلَكِنْ ذَلِكَ طَرِيقُ التَّسْلِيَةِ وَسَبِيلُ التَّغْزِيَةِ

وَالْمَنْهَجُ الْمَسْلُوكُ فِي مُحَاطَبَةِ مِثْلِهِ مِمَّنْ يَقْبَلُ مَنَفَعَةَ الذِّكْرِ وَإِنْ
أَغْنَاهُ الْإِسْتِبْصَارُ وَلَا يَأْتِي وَرُودُ الْمَوْعِظَةِ وَإِنْ كَفَاهُ الْإِعْتِبَارُ وَاللَّهُ
تَعَالَى يَقِي الرُّئُوسَ الْمَصَائِبَ وَيُعِيدُهُ مِنَ النَّوَائِبِ وَيَرْعَاهُ بِعَيْنِهِ
الَّتِي لَا تَنَامُ وَيَجْعَلُهُ فِي حِمَاةِ الْيَدَى لَا يُرَامُ وَيُبْقِيهِ مَوْفُورًا غَيْرَ
مُنْتَقِصٍ وَيُقَدِّمُنَا إِلَى السُّوءِ أَمَامَهُ وَإِلَى الْمَحْذُورِ قُدَّامَهُ وَيَبْدَأُ بِي مِنْ
بَيْنَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّعْوَةِ إِذْ كُنْتُ أَرَاهَا مِنْ أَسْعَدِ أَخَوَالِي وَأَعْدُهَا مِنْ
أَبْلَغِ أَمَانِي وَآمَالِي.

ولمصححه إلى صديق له

مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْقَضَاءَ وَاقِعٌ وَأَنَّ الْأَعْمَارَ رَهَائِنُ الْمَصَارِعِ فَلَمْ يَضْحَبْ
نَهْرَهُ عَلَى غِرَّةٍ وَلَمْ يَغْتَرَّ مِنَ الْأَقْدَارِ بِفِتْرَةٍ لَمْ تَكْبُرْ عَلَيْهِ الرِّزِيئَةُ إِذَا
اغْتَالَتْ وَلَمْ يَطْمَئِنِّ إِلَى السَّلَامَةِ وَإِنْ طَالَتْ فَإِنَّ لِلدَّهْرِ رَقْدَةً وَهَبَةً
وَإِنَّ لِلْيَالِي كَمَنَةً وَوَثْبَةً وَمِثْلَكَ مَنْ أَدْرَاكَ مَبَادِيءَ الْأُمُورِ وَمَصَائِرِهَا
وَعَرَفَ مَوَارِدَ الْحَيَاةِ وَمَصَادِيرَهَا وَإِنَّمَا الْمَوْتُ طَوْرٌ مِنْ أَطْوَارِ الْوُجُودِ
وَأَجْرُ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ فِي الْمَوْجُودِ وَلَا أَزِيدُكَ عِلْمًا بِالْكُؤُنِ وَشَرَائِعِهِ
وَالْكَائِنِ وَطَبَائِعِهِ إِنَّمَا هِيَ ذِكْرِي لِنَ فَجِئْتُ الرُّزْءَ فَشَغَلَهُ وَحَلَ
بِسَاحَتِهِ الْقَضَاءُ فَأَذْهَلَهُ وَحَسْبِي مِنَ التَّعَرِّيَةِ عِلْمِي بِمَا عِنْدَكَ مِنْ
مَوَارِدِ الْعِلْمِ الْمُبَاحِ وَمِنَ النَّاسِيَةِ مَا تَعَلَّمُهُ مِنْ خَالٍ مَنْ يُخَاطِبُكَ

وَحِرَ سَبِيلُ الْجِرَاحِ وَمَا أَخْلَقَنِي بِأَنْ أَقُولَ إِنَّ رُزْكَ هَذَا قَدْ زَادَنِي
شَجْنًا عَلَى أَشْجَانِي وَنَكَأَ مَا تَمَآثَلَ مِنْ قُرْحَةٍ أَحْزَانِي وَلَكِنِّي قَدْ
ضَيَّرَنِي الدَّهْرُ أَوْ حَالٌ لَا تَعْمَلُ فِيهَا حَالٌ وَلَا أَبَالِي مَعَهَا بِسِلْمٍ
وَلَا قِتَالٍ فَكَانَا إِيَّايَ غَنَى أَبُو الطَّيِّبِ حَيْثُ قَالَ :

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى
فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نَبَالٍ
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابْتَنِي سِهَامٌ
تَكْسَرُ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ
عَلَى أَنْ الْمَرْءَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مُعَزٌّ لَمْ يَزِدْهُ كَلَامٌ
الْمُعَزِّينَ عَلَى إِذْكَارِ مُصَابِهِ
وَتَجْدِيدِ لَوْعَتِهِ وَاكْتِتَابِهِ
وَهَمُّنَا امْتِحَانُ الرَّجَالِ
وَمَوْطِنُ الصَّبْرِ وَالْإِحْتِمَالِ
وَالْمَرْءُ بِأَعَزِّ مَا لَدَيْهِ يُقْتَحَنُ
وَالصَّبْرُ عَلَى مِقْدَارِ الْهِمَمِ
وَالْفِطْنُ وَإِنَّ الْأَحْزَانَ مَعْقُودَةٌ
أَطْرَافُهَا بِالْعِزَاءِ مَوْصُولَةٌ

أَوَاخِرُهَا بِالتَّاسَاءِ فَاجْعَلِ
 الْآخِرَةَ الْأُولَى وَلَا تُبْلَغِ
 الدَّهْرَ مِنْ نَفْسِكَ مَأْمُولاً
 وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُقَيِّضَ لَنَا
 بِسَلَامَتِكَ عِوَضًا كَرِيماً وَيَصُونِ
 بَيْتَكُمْ وَآلَهُ مِنْ كُلِّ كَارِثَةٍ
 سَلِيمًا وَيُفْرِغَ عَلَى قُلُوبِكُمْ
 صَبْرًا جَمِيلاً وَعَلَى مَنْ فَقَدْتُمْ
 عَفْوَاً عَمِيماً بِرَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ.

فَضْلٌ

فِي الْخُطْبِ

خطبة للإمام عليّ وهي المعروفة بالزهراء

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ وَبَدِيئُهُ وَمُنْتَهَى كُلِّ شَيْءٍ
وَوَلِيُّهُ وَكُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ وَكُلُّ شَيْءٍ ضَارِعٌ
إِلَيْهِ وَكُلُّ شَيْءٍ مُسْتَكِينٌ لَهُ خَشَعَتْ لَهُ الْأَصْوَاتُ وَكَلَّتْ دُونَهُ
الْصِّفَاتُ وَضَلَّتْ دُونَهُ الْأَوْهَامُ وَحَارَتْ دُونَهُ الْأَفْهَامُ وَانْحَسَرَتْ
دُونَهُ الْأَبْصَارُ لَا يَقْضِي فِي الْأُمُورِ غَيْرُهُ وَلَا يَتِمُّ شَيْءٌ مِنْهَا دُونَهُ
سُبْحَانَهُ مَا أَجَلُ شَانِهِ وَأَعْظَمُ سُلْطَانُهُ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ الْعُلَى
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى لَهُ التَّسْبِيحُ وَالْعِظَمَةُ وَالْمَلِكُ وَالْقُدْرَةُ
وَالْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ يَقْضِي بِعِلْمٍ وَيَعْقُو بِحِلْمٍ قُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ وَمَقْزَعُ
كُلِّ مَلْهُوفٍ وَعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ وَوَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ كُلُّ نِعْمَةٍ وَصَاحِبُ
كُلِّ حَسَنَةٍ وَكَاشِفُ كُلِّ كَرْبَةٍ الْمُطْلِعُ عَلَى كُلِّ خَفِيَّةٍ الْمُحْصِي
كُلِّ سَرِيرَةٍ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ الصُّدُورُ وَمَا يُرْخَى عَلَيْهِ السُّتُورُ الرَّحِيمُ
بِخَلْقِهِ الرَّؤُوفُ بِعِبَادِهِ مَنْ تَكَلَّمَ مِنْهُمْ سَمِعَ كَلَامَهُ وَمَنْ سَكَتَ

مِنْهُمْ عَلِمَ مَا فِي نَفْسِهِ وَمَنْ عَاشَ مِنْهُمْ فَعَلِيهِ رِزْقُهُ وَمَنْ مَاتَ
مِنْهُمْ فَإِلَيْهِ مَصِيرُهُ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ وَأَخَصَى كُلَّ شَيْءٍ
حِفْظُهُ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَدَّ مَا تُحْيِي وَتُمِيتُ وَعَدَدَ أَنْفَاسِ خَلْقِكَ
وَلَفْظِهِمْ وَلَحْظِ أَبْصَارِهِمْ وَعَدَدَ مَا تَجْرِي بِهِ الرِّيحُ وَتَحْمِلُهُ
السَّحَابُ وَيَخْتَلِفُ بِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَيَسِيرُ بِهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَالنُّجُومُ حَمْدًا لَا يَنْقُضِي عَدْدُهُ وَلَا يَفْنَى أَمْدُهُ اللَّهُمَّ أَنْتَ قَبْلَ
كُلِّ شَيْءٍ وَتَبَقَى وَيَفْنَى كُلُّ شَيْءٍ وَأَنْتَ وَارِثُ كُلِّ شَيْءٍ أَحَاطَ
عِلْمُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ وَلَيْسَ يُعْجِزُكَ شَيْءٌ وَلَا يَتَوَارَى عَنْكَ شَيْءٌ وَلَا
يَقْدِرُ أَحَدٌ قُدْرَتَكَ وَلَا يَشْكُرُكَ أَحَدٌ حَقَّ شُكْرِكَ وَلَا تَهْتَدِي
الْعُقُولُ إِلَى صِفَتِكَ وَلَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ حَدَّكَ حَارَتِ الْأَبْصَارُ دُونَ
النَّظَرِ إِلَيْكَ فَلَمْ تَرَكَ عَيْنٌ فَتُخْبِرَ عَنْكَ كَيْفَ أَنْتَ وَكَيْفَ كُنْتَ لَا
تَعْلَمُ اللَّهُمَّ كَيْفَ عَظَمَتُكَ غَيْرَ أَنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُكَ
سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَمْ يَنْتَهَ إِلَيْكَ نَظَرٌ وَلَمْ يَدْرِكْكَ بَصَرٌ وَلَا يَقْدِرُ قُدْرَتَكَ
مَلَكٌ وَلَا بَشَرٌ أَدْرَكَتِ الْأَبْصَارُ وَكُتِمَتِ الْآجَالُ وَأَخْصِيَتِ الْأَعْمَالُ
وَأَخَذَتْ بِالنُّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِحَاجَةٍ وَلَا يَوْحَشِيَةٍ
مَلَأْتَ كُلَّ شَيْءٍ عَظَمَةً فَلَا يَرُدُّ مَا أَرَدْتَ وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ
أَطَاعَكَ كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عِلْمُهُ وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَاهِدُهُ فَلَمْ يَسْتَتِرْ

عَنْكَ شَيْءٌ كَقُدْرَتِكَ عَلَى مَا قَضَيْتَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْقَوَى كَقُدْرَتِكَ
 عَلَى الضَّعِيفِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْأَحْيَاءِ كَقُدْرَتِكَ عَلَى الْأَمْوَاتِ فَإِلَيْكَ
 الْمُنْتَهَى وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ لَا مَنْجَى إِلَّا إِلَيْكَ بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ
 وَبِإِذْنِكَ تَسْقُطُ كُلُّ وَرَقَةٍ لَا يَغْرُبُ عَنْكَ مِنْقَالُ ذَرَّةٍ أَنْتَ الْحَيُّ
 الْوَمُّ سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا يُرَى مِنْ خَلْقِكَ وَمَا أَعْظَمَ مَا يُرَى مِنْ
 مَلَاخِوتِكَ وَمَا أَقْلَهُمَا فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْهُ وَمَا أَسْبَغَ نِعْمَتَكَ فِي
 الدُّنْيَا وَأَحْقَرَمَا فِي نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَمَا الَّذِي تَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَنَعْتَبِرُ
 مِنْ قُدْرَتِكَ وَنَنْصِفُ مِنْ سُلْطَانِكَ فِيمَا يَغِيبُ عَنَّا مِنْهُ مِمَّا قَصُرَتْ
 أَبْصَارُنَا عَنْهُ وَكَانَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ وَحَالَاتِ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ
 فَمَنْ قَرَعَ سِنَّهُ وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ وَكَيْفَ ذَرَأْتَ
 خَلْقَكَ وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ وَكَيْفَ مَدَدْتَ أَرْضَكَ
 وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ وَكَيْفَ مَدَدْتَ أَرْضَكَ يَرْجِعُ
 طَرْفُهُ حَاسِرًا وَعَقْلُهُ مَبْهُورًا وَسَمْعُهُ وَالْهَأُ وَفِكْرُهُ مُتَحِيرًا فَكَيْفَ
 يَطْلُبُ عِلْمَ مَا قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِكَ إِذْ أَنْتَ وَحْدَكَ فِي الْغُيُوبِ
 الَّتِي لَمْ يَكُنْ فِيهَا غَيْرُكَ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا سِوَاكَ لَا أَحَدٌ شَهِدَكَ
 حِينَ فَطَرْتَ الْخَلْقَ وَلَا أَحَدٌ خَضَرَكَ حِينَ ذَرَأْتَ النُّفُوسَ فَكَيْفَ
 لَا يَعْظُمُ شَأْنُكَ عِنْدَ مَنْ عَرَفَكَ وَهُوَ يَرَى مِنْ خَلْقِكَ مَا تَرْتَاغُ بِهِ

عُقُولُهُمْ وَيَمْلَأُ قُلُوبَهُمْ مِنْ رَعْدٍ نَفَزَ لَهُ الْقُلُوبُ وَبَرَقَ يَخْطَفُ
الْأَبْصَارَ وَمَلَأَ بِكَ خَلْقَتَهُمْ وَأَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ وَلَيْسَ فِيهِمْ فِتْرَةٌ
وَلَا عِنْدَهُمْ غَفْلَةٌ وَلَا بِهِمْ مَعْصِيَةٌ هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ وَأَخَوْفُهُمْ
لَكَ وَأَقْوَمُهُمْ بِطَاعَتِكَ لَيْسَ يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعِيُونِ وَلَا سَهْوُ الْعُقُولِ
لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ وَلَمْ تَضُمَّهُمْ الْأَرْحَامُ أَنْشَأْتَهُمْ إِنْشَاءً
وَأَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ وَأَكْرَمْتَهُمْ بِجِوَارِكَ وَأَتَمَمْتَهُمْ عَلَى وَحْيِكَ
وَجَنَّبْتَهُمُ الْآفَاتِ وَوَقَيْتَهُمُ السَّيِّئَاتِ وَطَهَّرْتَهُمُ مِنَ الذُّنُوبِ فَقَوْلًا
تَقْوِيَّتُكَ لَمْ يَقْوُوا وَلَوْلَا تَثْبِيْتُكَ لَمْ يَثْبُتُوا وَلَوْلَا رَهْبَتِكَ لَمْ يُطِيعُوا
وَلَوْلَاكَ لَمْ يَكُونُوا أَمَا إِنَّهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ مِنْكَ وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ
وَطُولِ طَاعَتِهِمْ إِيَّاكَ لَوْ يُعَايِنُونَ مَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ لَاحْتَقَرُوا
أَعْمَالَهُمْ وَلَعَلِمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يُعَايِنُونَ مَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ لَاحْتَقَرُوا
أَعْمَالَهُمْ وَلَعَلِمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ فَسُبْحَانَكَ خَالِقًا
وَمَعْبُودًا وَمَحْمُودًا بِحُسْنِ بِلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ أَنْتَ خَلَقْتَ مَا
دَبَّرْتَهُ مَطْعَمًا وَمَشْرَبًا ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيَنَا إِلَيْنَا فَلَا الدَّاعِيَ أَجَبْنَا
وَلَا فِيمَا رَغَبْتَنَا فِيهِ رَغِبْنَا وَلَا إِلَى مَا شَوْقْتَنَا إِلَيْهِ اشْتَقْنَا أَقْبَلْنَا
كُلُّنَا عَلَى جِيْفَةٍ نَأْكُلُ مِنْهَا وَلَا نَشْبِعُ وَقَدْ زَادَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ
حِرْصًا لِمَا يَرَى بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ فَافْتَضَحْنَا بِأَكْلِهَا وَاصْطَلَحْنَا

عَلَى حُبِّهَا فَأَعْمَتِ أَبْصَارَ صَالِحِينَ وَفُهِئْنَا فَهُمْ يَنْظُرُونَ بِأَعْيُنٍ
 غَيْرِ صَاحِحَةٍ وَيَسْمَعُونَ بِأَذَانٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ فَحَيْثُمَا زَالَتْ زَالُوا
 مَعَهَا وَحَيْثُمَا مَالَتْ أَقْبَلُوا إِلَيْهَا وَقَدْ عَايَنُوا الْمَآخُودِينَ عَلَى الْغُرَّةِ
 كَيْفَ فِجَنَّتَهُمُ الْأُمُورُ وَنَزَلَ بِهِمُ الْمَحْذُورُ وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ
 الْأَحِبَّةِ مَا كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ وَقَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ
 فَارْقُوا الدُّنْيَا وَصَارُوا إِلَى الْقُبُورِ وَغَرَفُوا مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْغُرُورِ
 فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ حَسْرَتَانِ حَسْرَةُ الْقُوَى وَحَسْرَةُ الْمَوْتِ فَانْغَبَتْ
 لَهَا وَجُوهُهُمْ وَتَغَيَّرَتْ بِهَا أَلْوَانُهُمْ وَعَرَفَتْ بِهَا جِبَاهُهُمْ
 وَشَخَصَتْ أَبْصَارُهُمْ وَبَرَدَتْ أَطْرَافُهُمْ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُنْطِقِ
 وَإِنْ أَحَدُهُمْ لَبَيَّنَ أَهْلَهُ يَنْظُرُ بِنَصْرِهِ وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ ثُمَّ زَادَ الْمَوْتُ
 فِي جِدِّهِ حَتَّى خَالَطَ بَصَرُهُ فَذَهَبَتْ مِنَ الدُّنْيَا مَعْرِفَتُهُ وَهَلَكَتْ عِنْدَ
 ذَلِكَ حُجَّتُهُ وَعَايَنَ هَوْلَ أَمْرِ كَانَ مُعْطَى عَلَيْهِ فَأَحَدٌ لَذَلِكَ بَصَرُهُ
 ثُمَّ زَادَ الْمَوْتُ فِي جِدِّهِ حَتَّى بَلَغَتْ نَفْسُهُ الْحُلُقُومَ ثُمَّ خَرَجَ مِنْ
 جَسَدِهِ فَصَارَ جَسَدًا مُلْقًى لَا يُجِيبُ دَاعِيًا وَلَا يَسْمَعُ بَاكِيًا فَتَزَعُوا
 ثِيَابَهُ وَخَاتَمَهُ ثُمَّ وَضَّأُوهُ وَضُوءَ الصَّلَاةِ ثُمَّ غَسَلُوهُ وَكَفَّنُوهُ إِدْرَاجًا
 فِي أَكْفَانِهِ وَحَنَطُوهُ ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى قَبْرِ فَدَلُّوهُ فِي حَفْرَتِهِ وَتَرَكُوهُ
 مُخْلِىً بِمُقْطَعَاتٍ مِنَ الْأُمُورِ مَعَ ظُلْمَةٍ وَضِيقٍ وَوَحْشَةٍ قَبْرِ فَذَاكَ

مَثَوَاهُ حَتَّى يَبْلَى جَسَدُهُ وَيَصِيرَ تَرَابًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْأُمُرُ إِلَى
مِقْدَارِ وَالْحَقِّ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ وَجَاءَهُ أَمْرٌ مِنْ خَالِقِهِ أَرَادَ بِهِ
تَجْدِيدَ خَلْقِهِ فَأَمَرَ بِصَوْتٍ مِنْ سَمَاوَاتِهِ فَمَارَتِ السَّمَاوَاتُ مَوْرًا
وَفَزِعَ مَنْ فِيهَا وَبَقِيَ مَلَائِكَتُهَا عَلَى أَرْجَائِهَا ثُمَّ وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى
الْأَرْضِ وَالْخَلْقُ رُفَاتٌ لَا يَشْعُرُونَ فَأَرْعَجَ أَرْضَهُمْ وَأَرْجَفَهَا وَزَلَزَلَهَا
وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا وَسَيَّرَهَا وَرَكَّبَ بَعْضُهَا بَعْضًا مِنْ هَيْبَتِهِ
وَجَلَالِهِ وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا فَجَدَدَهُمْ بَعْدَ بِلَاهُكُمْ وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ
تَفَرُّقِهِمْ يُرِيدُ أَنْ يُخَصِّنِيَهُمْ وَيُمَيِّزَهُمْ فَرِيقًا فِي ثَوَابِهِ وَفَرِيقًا فِي
عِقَابِهِ فَخَلَدَ الْأَمْرَ لِأَبَدِهِ دَائِمًا خَيْرُهُ وَشَرُّهُ ثُمَّ لَمْ يَنْسَ الطَّاعَةَ مِنَ
الْمُطِيعِينَ وَلَا الْمَعْصِيَةَ مِنَ الْعَاصِينَ فَأَرَادَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُجَازِيَ
هَؤُلَاءَ وَيَنْتَقِمَ مِنْ هَؤُلَاءِ فَأَثَابَ أَهْلَ الطَّاعَةِ بِجَوَارِهِ وَحُلُولِ دَارِهِ
وَعَيْشِ رَعْدٍ وَخُلُودٍ أَبَدٍ وَمُجَاوَرَةِ الرَّبِّ حَيْثُ لَا ظَعْنٌ وَلَا تَغْيِيرٌ
وَحَيْثُ لَا تُصِيبُهُمُ الْأَحْزَانُ وَلَا تَعْتَرِضُهُمُ الْأَخْطَارُ وَلَا تَشْخَصُ
مِنْهُمْ الْأَبْصَارُ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَخَلَدَهُمْ فِي النَّارِ وَأَوْتَقَ مِنْهُمْ
الْأَقْدَامَ وَغُلَّتْ مِنْهُمْ الْأَيْدِي إِلَى الْأَعْنَاقِ فِي لَهَبٍ قَدْ اشْتَدَّ حَرُّهُ
وَنَارٍ مُطَبَّقَةٍ عَلَى أَهْلِهَا لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ بِهَا رَوْحٌ هُمْهُمْ شَدِيدٌ
وَعَذَابُهُمْ يَزِيدُ وَلَا مَدَّةَ لِلدَّارِ تَنْقُضِي وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ يَنْتَهِي أَلَلَّهُمْ

إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْفَضْلَ وَالرَّحْمَةَ بِيَدِكَ فَأَنْتَ وَلِيُّهُمَا لَا يَلِيهِمَا
 أَحَدٌ غَيْرُكَ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْمَخْزُونِ الْمَكْنُونِ الَّذِي قَامَ بِهِ عَرْشُكَ
 وَكُرْسِيُّكَ وَسَمَاوَاتُكَ وَأَرْضُكَ وَبِهِ ابْتَدَعْتَ خَلْقَكَ الصَّلَاةَ عَلَى
 مُحَمَّدٍ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِكَ آمِينَ إِنَّكَ وَلِيُّ كَرِيمٍ.

وله أيضا

أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَلَزُومِ طَاعَتِهِ وَتَقْدِيمِ
 الْعَمَلِ وَتَرْكِ الْأَمَلِ فَإِنَّهُ مَنْ فَرِطَ فِي عَمَلِهِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ
 مِنْ أَمَلِهِ أَيْنَ التَّعَبُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْمُتَّحِمُ لُحِيحِ الْبَحَارِ وَمَفَاوِزِ
 الْقِفَارِ يَسِيرُ مِنْ وَرَاءِ الْجِبَالِ وَعَالِجِ الرَّمَالِ يَصِلُ الْغَدُوَّ بِالرُّوَّاحِ
 وَالْمَسَاءَ بِالصَّبَاحِ فِي طَلَبِ مُحْتَقَرَاتِ الْأَرْبَاحِ هَجَمَتْ عَلَيْهِ مَنِيئُهُ
 فَعَظُمَتْ بِنَفْسِهِ رَرِيئُهُ فَصَارَ مَا جَمَعَ بُورًا وَمَا أَكْتَسَبَ غُرُورًا
 وَوَفَى الْقِيَامَةَ مُحْسُورًا أَيَّهَاتِ اللَّامِي الْغَارُ بِنَفْسِهِ كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ
 أَتَاكَ رَسُولُ رَبِّكَ لَا يَقْرَعُ لَكَ بَابًا وَلَا يَهَابُ لَكَ حَجَابًا وَلَا يَقْبَلُ
 مِنْكَ بَدِيلًا وَلَا يَأْخُذُ مِنْكَ كَفِيلًا وَلَا يَرْحَمُ لَكَ صَغِيرًا وَلَا يُوقِرُ
 فِيكَ كَبِيرًا حَتَّى يُؤَدِّيَكَ إِلَى قَعْرِ مُظْلِمَةٍ أَرْجَاؤُهَا مُوَحِشَةٌ كَفِعْلِهِ
 بِالْأَمَمِ الْخَالِيَةِ وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ أَيْنَ مَنْ سَعَى وَاجْتَهَدَ وَجَمَعَ

وَعَدَّدَ وَبَنَى وَشَيَّدَ وَزَخَرَفَ وَنَجَّدَ وَبِالْقَلِيلِ لَمْ يَقْنَعْ وَبِالْكَثِيرِ
لَمْ يُمْتَنِعْ أَيْنَ مَنْ قَادَ الْجُنُودَ وَنَشَرَ الْبُنُودَ أَضْحَوْا رُفَاتًا تَحْتَ
الثُّرَى أَمْوَاتًا وَأَنْتُمْ بِكَأْسِهِمْ شَارِبُونَ وَلِسَبِيلِهِمْ سَالِكُونَ عِبَادَ اللَّهِ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَرَاقِبُوهُ وَأَعْمَلُوا لِلْيَوْمِ الَّذِي تَسِيرُ فِيهِ الْجِبَالُ وَتَشَقُّ
السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَتَطَايُرُ الْكُتُبُ عَنِ الْإِيمَانِ وَالشَّمَاثِلُ فَأَيُّ رَجُلٍ
يَوْمِئِذٍ تَرَكَ أَقَاتِلُ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيهِ أَمْ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَوْتَ كِتَابِيهِ
نَسَأَلُ مَنْ وَعَدَنَا بِإِقَامَةِ الشَّرَائِعِ جَنَّتُهُ أَنْ يَقِينَا سُخْطَهُ إِنَّ أَحْسَنَ
الْحَدِيثِ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةِ كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ
يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ جَمِيدٍ.

خطبة للحجاج^(١) حين ولّاه عبد الملك بن مروان^(٢) العراق وامره أن يحشر الناس إلى المهلب^(٣) في حرب الازارقة

(١) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي أبو محمد قائد داهية سفاك، خطيب ولد سنة ٤٠ هـ / ٦٦٠ ونشأ في الطائف بالحجاز وانتقل إلى الشام فلحق بروج بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان، فكان في عديد شرطته ثم مازال يظهر حتى قلده عبد الملك بن مروان أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف ثم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه فانصرف إلى بغداد في ثمانية أو تسعة رجال على النجائب، فقمع الثورة وثبت له الإمارة عشرين سنة وبنى مدينة واسط "بين الكوفة والبصرة" وكان سفاكاً سفاحاً باتفاق معظم المؤرخين.

انظر المزيد في: معجم البلدان ٨ / ٣٨٢، وفيات الأعيان ١ / ١٢٣، مروج الذهب ٢ / ١٠٣ - ١١٩، تهذيب التهذيب ٢ / ٢١٠، تهذيب ابن عساكر ٤ / ٤٨، الكامل ٤ / ٢٢٢، البدء والتاريخ ٦ / ٢٨.

(٢) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي أبو الوليد، من أعظم الخلفاء ودهاتهم، نشأ في المدينة فقيها واسع المعرفة والعلم، متعبداً ابن ١٦ عاماً وانتقلت الخلافة بموت أبيه سنة ٦٥ هـ فضبط أمورهما وظهر بمظهر القوة، فكان جباراً معانديه قوى الهيبة. مات سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م.

انظر المزيد في: الكامل ٤ / ١٩٨، تاريخ الطبري ٨ / ٥٦، تاريخ اليعقوبي ٣ / ١٤، ميزان الاعتدال ٢ / ١٥٣، المحبر ٣٧٧.

(٣) هو المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي العتكي أبو سعيد أمير بطاش جواد. ولد سنة ٧ هـ / ٦٢٨ م ومات سنة ٨٣ هـ / ٧٠٢ م قال فيه عبد الله ابن الزبير: هذا سيد أهل العراق.

انظر المزيد في: الإصابة ٨٦٣٥، وفيات الأعيان ٢ / ١٤٥، الكامل ٤ / ١٨٣، شرح العيون ١٠٣، تاريخ الطبري ٨ / ١٩.

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَاغُ الثَّنَا
مَتَى أَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي
صَلِيبُ الْعُودِ مِنْ سَلَفِي نِزَارِ
كَنْضِلُ السَّيْفِ وَضَاحُ الْحَبِيبِ
وَمَاذَا تَبْتَغِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي
وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَزْيَعِينَ
أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعُ أَشْدَى
وَتُنَجِدُنِي مُدَاوِرَةُ الشُّؤُونِ
أَمَّا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحْمِلُ الشَّرَّ بِحِمْلِهِ
وَأَخْذُوهُ بِنَعْلِهِ وَأَجْزِيهِ
بِمِثْلِهِ وَإِنِّي لَأَرَى رُؤُوسًا قَدْ
أَيَنْعَتْ وَخَانَ قِطَافُهَا وَإِنِّي
لَصَاحِبُهَا وَإِنِّي لَأَنْظُرُ الدِّمَاءَ
بَيْنَ الْعَقَائِمِ وَاللَّحَى تَتَرَفَّرُ
قَدْ شَمَرْتُ عَنْ سَاقِهَا فَشَمَّرِي
هَذَا أَوَانُ الْحَرْبِ فَاشْتَدَى رِيْمُ
قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطَمِ
لَيْسَ بِزَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمِ

وَلَا بَجَازٍ عَلَى وَضْمٍ
قَدْ لَفَّهَا لِلَّيْلِ بَعْضُ بَيْيٍّ أَرْوَعَ جَرَاحٍ مِنَ الدَّوَى
مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيٍّ
قَدْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشَدُّوا مَا عَلَتْنِي وَأَنَا شَيْخٌ جَلْدُ
وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌّ عَرِدٌ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ
وَمَسَاوِيءِ الْأَخْلَاقِ لَا يُغْمَرُ جَانِبِي كَتَغْمَازِ التَّنِينِ وَلَا يُفَعِّقُ
لِي بِالشُّنَانِ وَلَقَدْ فُرِزْتُ عَنْ ذَكَاءٍ وَفَتَشَشْتُ عَنْ تَجَرِبَةٍ وَأُجْرِيْتُ
مَعَ الْغَابَةِ وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَثَرَ كِنَانَتَهُ ثُمَّ عَجَمَ عِيدَانَهَا فَوَجَدَ
لِي أَمْرَهَا عُودًا وَأَشَدَّهَا مَكْسِرًا فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ وَرَمَاكُمْ بِي فَإِنَّهُ قَدْ
طَالَمَا أَوْضَعْتُمْ فِي الْفِتَنِ وَسَنَنْتُمْ سُنَنَ الْبَغْيِ وَسَعَيْتُمْ فِي الضَّلَالَةِ
وَإِيْمُ اللَّهِ لَا لِحُورَكُمْ لَحْوُ الْعَصَا وَلَا قَرَّ عَنْكُمْ قَرَعُ الْمُرَّةِ وَلَا عَصْبِنُكُمْ
عَصَبَ السُّلَمَةِ وَلَا ضَرْبَنُكُمْ قَرَعُ الْمُرَّةِ وَلَا عَصْبِنُكُمْ عَصَبَ السُّلَمَةِ
وَلَا ضَرْبَنُكُمْ ضَرْبَ غَرَائِبِ الْإِبِلِ أَمَا وَاللَّهِ لَا أَعِدُّ إِلَّا وَقَيْتُ
وَلَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرَيْتُ وَإِيَّايَ وَهَذِهِ الزَّرَافَاتُ وَالْجَمَاعَاتُ وَقَالَ وَقِيلَ
وَمَا يَقُولُونَ وَفِيمَ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَتَسْتَقِمُنَّ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ أَوْ لَا دَعْنُ
لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ مَنْ وَجَدْتُهُ بَعْدَ ثَالِثَةِ مِنْ بَعَثِ
الْمُهَلَّبِ سَفَكَتْ دَمَهُ وَانْتَهَبَتْ مَالَهُ وَهَدَمَتْ مَنْزِلَهُ.

وله أيضًا بعد وقعة دبر الجماجم

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ اسْتَبْطَنَكُمْ فَخَالَطَ اللَّحْمَ وَالْدَّمَ
وَالْمَسَامِعَ وَالْأَطْرَافَ وَالْأَعْضَادَ وَالشَّفَاهَ ثُمَّ مَضَى إِلَى الْأَمْخَاخِ
وَالْأَصْمَاخِ ثُمَّ ارْتَفَعَ فَعَشَّشَ ثُمَّ بَاصَ وَفَرَّخَ فَحَشَاكُمْ شِقَاقًا وَنِفَاقًا
وَإِنْ أَشْعَرَكُمْ خِلَافًا اتَّخَذْتُمُوهُ دَلِيلًا تَتَّبِعُونَهُ وَقَائِدًا تُطِيعُونَهُ
وَمُؤَامِرًا تَسْتَشِيرُونَهُ وَكَيْفَ تَنْفَعُكُمْ تَجْرِبَتُهُ أَوْ تَعْظُمُكُمْ وَقَعَةُ
أَوْ يَخْجِزُكُمْ إِسْلَامُ أَوْ يَرُدُّكُمْ إِيْمَانُ أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي بِالْأَهْوَاِ
حَيْثُ رُمْتُمُ الْمَكْرَ وَسِعَيْتُمُ بِالْغَدْرِ وَاسْتَجْمَعْتُمُ لِلْكَفْرِ وَظَنَنْتُمْ أَنَّ
اللَّهَ يَخْذُلُ دِينَهُ وَخِلَافَتَهُ وَأَنَا أَرْمِيكُمْ بِطَرْفِي وَأَنْتُمْ تَنْسُلُونَ
لِوَادًا وَتَنْهَزُمُونَ سِرَاعًا يَوْمَ الزَّائِيَةِ وَمَا يَوْمَ الزَّائِيَةِ بِهَا فَشَلُّكُمْ
وَتَنَازِعُكُمْ وَتَخَاضِلُكُمْ وَبِرَّاءَةُ اللَّهِ مِنْكُمْ وَنُكُوصُ وَلِيهِ عَنْكُمْ إِذْ وَلَّيْتُمْ
كَالْإِبِلِ الشَّوَارِدِ إِلَى أَوْطَانِهَا النَّوَازِعِ إِلَى أَعْطَانِهَا لَا يَسْأَلُ الْمَرْءُ
مِنْكُمْ عَنْ أَخِيهِ وَلَا يَلْوِي الشَّيْخُ عَلَى بَنِيهِ حَتَّى عَضَّكُمْ السَّلَاحُ
وَقَصَمَتْكُمْ الرَّمَا حُ يَوْمَ دَيْرِ الْجَمَاجِمِ وَمَا دَيْرِ الْجَمَاجِمِ وَكَانَتْ
الْمَعَارِكُ وَالْمَلَا حِمُ بِضَرْبِ يُزَيْلِ الْهَامِ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلِ الْخَلِيلَ
عَنْ خَلِيلِهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَهْلَ الْكُفْرَاتِ وَالْفَجَرَاتِ وَالْغَدَرَاتِ
بَعْدَ الْخَنَرَاتِ وَالثُّورَةِ بَعْدَ الثُّورَاتِ إِنْ أَبَعْتُكُمْ إِلَى تُغُورِكُمْ غَلَلْتُمْ

وَحِثُّكُمْ وَإِنْ أَمِنْتُمْ أَرْجَفْتُمْ وَإِنْ حِفْتُمْ نَافَقْتُمْ لَا تَذْكُرُونَ نِقْمَةً
وَلَا تَشْكُرُونَ بَعْمَةً يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَلْ اسْتَخَفَّكُمْ نَاكِثٌ أَوْ اسْتَغْوَاكُمْ
غَاوٍ أَوْ اسْتَفْرَكُمْ عَاصٍ أَوْ اسْتَنْصَرَكُمْ ظَالِمٌ أَوْ اسْتَعَصَدَكُمْ خَالِعٌ
إِلَّا وَثَّقْتُمُوهُ وَأَوَيْتُمُوهُ وَعَزَّزْتُمُوهُ وَنَصَرْتُمُوهُ وَرَضِيتُمُوهُ وَأَرْضِيتُمُوهُ
يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَلْ شَغَبَ شَاغِبٌ أَوْ نَعَبَ نَاعِبٌ أَوْ نَعَقَ نَاعِقٌ
أَوْ فَرَزَافِرٌ إِلَّا كُنْتُمْ أَتْبَاعُهُ وَأَنْصَارُهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَلَمْ تَنْهَكُمُ
الْمَوَاعِظُ أَلَمْ تَرْجُزْكُمْ الْوَقَائِعُ يَا أَهْلَ الشَّامِ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ كَالظَّلِيمِ
الذَّابِّ عَنْ فِرَاحِهِ يَنْفِي عَنْهَا الْمَدْرَ وَيَبَاعِدُ عَنْهَا الْحَجَرَ وَيَكْنُهَا
مِنَ الْمَطَرِ وَيَحْمِيهَا مِنَ الضُّبَابِ وَيَخْرُسُهَا مِنَ الذُّبَابِ يَا أَهْلَ
الشَّامِ أَنْتُمْ الْجَبَّةُ وَالرِّدَاءُ وَأَنْتُمْ الْعُدَّةُ وَالْحِذَاءُ.

وله لما أصيب بولده وأخيه محمد

أَيُّهَا النَّاسُ مُحَمَّدَانِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أُحِبُّ
أَنْهُمَا مَعِيَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا أَرْجُو لَهُمَا مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ
وَأَيْمُ اللَّهِ لَيُوسِكُنَ الْبَاقِي مِنَّا وَمِنْكُمْ أَنْ يَمُوتَ وَأَنْ تُدَالَ الْأَرْضُ مِنَّا
كَمَا أُدِلْنَا مِنْهَا فَتَأْكُلَ مِنْ لُحُومِنَا وَتَشْرَبَ مِنْ دِمَائِنَا كَمَا مَشِينَا
عَلَى ظُهُرِهَا وَأَكَلْنَا مِنْ ثِمَارِهَا وَشَرِبْنَا مِنْ مَائِهَا ثُمَّ يَكُونُ مَا قَالَ
اللَّهُ وَتُفْخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ الْأَجْدَاثُ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسُلُونَ.

عَزَّائِي نَبِيُّ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ
وَحَسْبِي ثَوَابُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ
إِذَا مَا لَقِيتُ اللَّهَ غَنَى رَاضِيًا
فَإِنْ سُرُورَ النَّفْسِ فِيمَا هُنَالِكَ
ولعتبة بن أبي سفيان^(١)

يَا أَهْلَ مِصْرَ قَدْ طَالَتْ مُعَاتَبَتُنَا إِيَّاكُمْ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَطَبَاتِ
السُّيُوفِ حَتَّى صِرْنَا شَجَى فِي لَهَاكُمْ مَا تُسَيِّغُهُ خُلُوقُكُمْ وَأَقْدَاءَ
فِي أَعْيُنِكُمْ مَا تَطْرِفُ عَلَيْهَا جُفُونُكُمْ أَفَحِينَ اشْتَدَّتْ عُرَى
الْحَقِّ عَلَيْكُمْ عَقْدًا وَاسْتَرْخَتْ عَقْدُ الْبَاطِلِ مِنْكُمْ حَلًّا أَرْجَفْتُمْ

(١) هو عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس
أمير مصر وليها من قبل أخيه معاوية، فقدّمها سنة ٤٣ هـ. ثم خرج
إلى الإسكندرية مرابطاً فابتنى داراً في حصنها القديم وتوفي بها سنة
٤٤ هـ/ ٦٦٤ م كان عاقلاً فصيحاً مهيباً من فحول بني أمية. شهد مع عثمان
يوم الدار وشهد يوم الجمل مع عائشة وفقئت عينه وحج بالناس سنة ٤١ هـ
وقيل سنة ٤٢ هـ. قال الأصمعي: الخطباء من بني أمية عتبة بن أبي سفيان
وعبد الله بن مروان.

انظر المزيد في: نسب قريش ١٢٥، النجوم الزاهرة ١/ ١٢٢ - ١٢٤، رغبة
الآمل ٤/ ٣٣ و ٨/ ١٥٩ و ٢٧١.

بِالْخَلِيفَةِ وَارَدْتُمْ تَهْوِينَ الْخِلَافَةَ وَخُضْتُمْ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ
وَأَقْدَمْتُمْ عَهْدَكُمْ بِهِ حَدِيثُ فَأَرْبَحُوا أَنْفُسَكُمْ إِذَا خَسِرْتُمْ دِينَكُمْ
فَهَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخَبَرِ السَّارِّ عَنْهُ وَالْعَهْدِ الْقَرِيبِ
مِنْهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ سُلْطَانَنَا عَلَى أَبْدَانِكُمْ دُونَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْلِحُوا لَنَا
مَا ظَهَرَ وَنَكَلُّكُمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا بَطَنَ وَأَظْهِرُوا خَيْرًا وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ
شَرًّا فَإِنَّكُمْ حَاصِدُونَ مَا أَنْتُمْ زَارِعُونَ وَعَلَى اللَّهِ اتَّوَكَّلْ وَبِهِ
أَسْتَعِينُ.

وله أيضًا

يَا حَامِلِي أَلَامِ أَنْوَفِ رُكِبْتَ بَيْنَ أَلَامِ أَعْيُنٍ إِنَّمَا قَلَّمْتُ أَظْفَارِي
عَنْكُمْ لِيَلِينَ مَسَى إِيَّاكُمْ وَسَأَلْتُكُمْ صَلَاحَكُمْ أِنْ كَانَ ض فَسَادُكُمْ
رَاجِعًا عَلَيْكُمْ فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الطَّعْنَ عَلَى السُّلَاةِ وَالتَّنْقِصَ
لِلسَّلَفِ فَوَاللَّهِ لَأَقْطَعَنَّ عَلَى ظُهُورِكُمْ بَطُونَ السَّيَاطِ فَإِنْ حَسَمْتُ
دَاءَكُمْ وَإِلَّا فَالسَّيْفُ مِنْ وَرَائِكُمْ وَلَسْتُ أَبْخُلُ عَلَيْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ إِذَا
جُدْتُمْ بِالْعَصِيَةِ وَلَا أُوَسِّدُكُمْ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْحُسْنَى إِنْ صِرْتُمْ إِلَى
الَّتِي هِيَ أَبَرُّ وَأَتْقَى

ولشبيب بن شبة^(١)

أَلَا إِنَّ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَشْبَاهَا أَرْبَعَةَ الْأَسَدِ الْخَادِرِ وَالْبَحْرِ الزَّاحِرِ
وَالْقَمَرِ الْبَاهِرِ وَالرَّبِيعِ النَّاصِرِ فَأَمَّا الْأَسَدُ الْخَادِرُ فَأَشْبَهَ مِنْهُ صَوْلَتُهُ
وَمَضَاهُ وَأَمَّا الْبَحْرُ الزَّاحِرُ فَأَشْبَهَ مِنْهُ [جُودُهُ وَعَطَاءُهُ وَأَمَّا الْقَمَرُ
الْبَاهِرُ فَأَشْبَهَ مِنْهُ نُورُهُ وَضِيَاءُهُ وَأَمَّا الرَّبِيعُ النَّاصِرُ فَأَشْبَهَ مِنْهُ
حُسْنُهُ وَبَهَاءُهُ.

ثُمَّ نَزَلَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ

وَمَوْقِفٍ مِثْلِ حَدِّ السِّيفِ قُمْتُ بِهِ

أَحْمَى الدُّمَارِ وَتَرَمِينِي بِهِ الْحَدَقُ

فَمَا زَلَقْتُ وَمَا آلَيْتُ كَاذِبَةً

إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهِ زَلَقُوا

(١) هو شبيب بن شيبة بن عبد الله التميمي المقرئ الأهمي أبو معمر أديب
الملوك وجليس الفقراء، وأخو الساكين. من أهل البصرة، كان يقال له "الخطيب"
لفصاحته وكان شريفاً من الدهاة، ينادم خلفاء بني أمية ويفزع إليه أهل بلده في
حوادثهم. مات سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م.

انظر المزيد في: ميزان الاعتدال ١ / ٤٤١، ثمار القلوب ٢٢، تهذيب التهذيب
٤ / ٣٠٧، البيان والتبيين ١ / ٦٢.

وَيُنْسَبُ إِلَى سَحْبَانَ وَائِلٍ^(١)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ وَالْآخِرَةُ دَارُ مَقَرٍّ فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ
لِمَقَرِّكُمْ وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ وَأَخْرِجُوا
مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ فِيهَا حَيِّيتُمْ وَلَغَيْرِهَا
خَلِقْتُمْ أَلْيَوْمَ عَمَلٌ بِلَا حِسَابٍ وَغَدًا حِسَابٌ بِلَا عَمَلٍ إِنَّ الرَّجُلَ
إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ فَقَدَّمُوا بَعْضًا
يَكُونُ لَكُمْ قَرْضًا وَلَا تَتْرَكُوا كَلًّا يَكُونُ عَلَيْكُمْ كَلًّا.

(١) هو سحبان بن زفر بن إياس الوائلي من بهمة حطيب يضرب به المثل
في البيان يقال "أخطب من سحبان" و "أفصح من سحبان" اشتهر في الجاهلية
وغاش زمنًا الإسلام، وكان إذا خطب يسيل عرقًا ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد
حتى يفرغ أسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع به، وأقام في دمشق
أيام معاوية وله شعر قليل وأخبار، مات سنة ٥٤ هـ / ٦٧٤ م.
انظر الزيد في: بلوغ الأرب ٣ / ١٥٦، شرح المقامات للشريشي ١ / ٢٥٣،
تهذيب ابن عساكر ٦ / ٦٥، خزنة البغدادى ٤ / ٣٤٧، الإصابة ت ٣٦٥٨.



فَضْلٌ

فِي الذَّمِّ وَالْقَطِيعَةِ

كَتَبَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْعَمِيدِ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الطَّبْرِيِّ

وَصَلَ كِتَابُكَ فَصَادَفَنِي قَرِيبَ الْعَهْدِ بِالْإِنْطِلَاقِ مِنْ عَنَتِ الْفِرَاقِ
وَأَفَقَنِي مُسْتَرِيحَ الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَانِحِ مِنْ جَوَى الْإِسْتِيَاقِ فَإِنِ الدَّهْرُ
جَرَى عَلَى حُكْمِهِ الْمَأْلُوفِ فِي تَحْوِيلِ الْأَحْوَالِ وَمَضَى عَلَى
رَسْمِهِ الْمَعْرُوفِ فِي تَبْدِيلِ الْأَشْكَالِ وَأَعْتَقَنِي مِنْ مَخَالِبِكَ إِعْتِاقًا
لَا تَسْتَحِقُّ بِهِ وَلَاءٌ وَأَبْرَأَنِي مِنْ عَهْدِكَ بَرَاءَةً لَا تَسْتَوْجِبُ مَعَهَا
دَرَكًَا وَلَا اسْتِثْنَاءً وَنَزَعَ مِنْ عُنُقِي رِبْقَةَ الذُّلِّ فِي إِخَائِكَ بِيَدِي
جَفَائِكَ وَرَشَّ عَلَى مَا كَانَ يُضْرَمُ فِي ضَمِيرِي مِنْ نِيرَانِ الشُّوقِ
بِالسُّلُوقِ وَشَنَّ عَلَى مَا كَانَ يَلْتَهَبُ فِي صَدْرِي مِنَ الْوَجْدِ مَاءَ الْبَأْسِ
وَمَسَحَ أَغْشَارَ قَلْبِي فَلَا مَ فُطُورِي تَجْمِيلِ الصَّبْرِ وَشَعَبَ أَفْلَادَ
كَبِدِي فَلَا حَمَّ صُدُوعَهَا يَحْسِنُ الْعِزَاءُ وَتَغْلُغَلُ فِي مَسَالِكِ أَنْفَاسِي
فَعَوَّضَ عَنِ النَّزَاعِ إِلَيْكَ نَزُوعًا عَنْكَ وَمِنَ الذَّهَابِ فِيكَ رُجُوعًا
دُونَكَ وَكَشَفَ عَنْ عَيْنِي ضَبَابَاتِ مَا أَلْقَاهُ الْهُوَى عَلَى بَصْرِي

وَرَفَعَ عَنْهَا غَيَابَاتِ مَا سَدَلَهُ الشُّكُّ دُونَ نَظَرِي حَتَّى النُّقَابِ
عَنْ صَفَحَاتِ شَيْمِكَ وَسَفَرَ عَنْ وُجُوهِ خَلِيقَتِكَ فَاذْهَبْ فَقَدْ أَلْقَيْتُ
حَبْلَكَ عَلَى غَارِبِكَ وَرَدَدْتُ إِلَيْكَ ذِمَّتَ عَهْدِكَ.

وَلَهُ إِلَيْهِ أَيْضًا مِنْ رِسَالَةٍ

وَهَبْنِي سَكَتٌ لِدَعْوَاكَ سُكُوتٌ مُتَعَجِّبٌ وَرَضِيْتُ رِضَى مُتَسَخِّطٍ
أَيَّرَضَى الْفَضْلُ اجْتِدَابَكَ بِأَهْدَابِهِ مِنْ يَدَيِ أَهْلِيهِ وَأَصْحَابِهِ
وَأَحْسَبُكَ لَمْ تَزَاحِمِ خُطَابَهُ حَتَّى أَتَشَدَّكَ لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ يَخْطُبُهَا
ضُرْجٌ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمٍ وَلَيْتَ شِعْرِي بَأَى حَلَى تَصَدَّيْتُ لَهُ
وَأَنْتَ لَوْ تَتَوَجَّجْتَ بِالثَّرِيَّا وَتَقْلُدْتَ قِلَادَةَ الْفَلَكَ وَتَمْنَطُكَ بِمِنْطَقَةِ
الْجُوزَاءِ وَتَوَشَّجْتَ بِالْمَجْرَةِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا عَطْلًا وَلَوْ تَدَثَّرْتَ أَنْوَارَ
الرَّبِيعِ الزَّاهِرِ وَأَسْرَجْتَ فِي جَبِينِكَ غُرَّةَ الْبَذْرِ الْبَاهِرِ مَا كُنْتَ
إِلَّا غَفْلًا لَا سَيِّمًا مَعَ قَلَةٍ وَفَائِكَ وَضَعْفِ إِخَانِكَ وَظُلْمَةِ مَا نُبِصَرُهُ
مِنْ خِصَالِكَ وَتَرَائِكُمْ إِخَانِكَ ضَلَالِكَ وَقَدْ نِدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ
مَنْى إِلَيْكَ وَلَكِنْ أَى سَاعَةٍ مَنَدَمَ بَعْدَ إِفْنَاءِ الزَّمَانِ فِي ابْتِدَائِكَ
وَتَصَفُّجِي حَالَاتِ الدَّهْرِ فِي اخْتِيَارِكَ وَبَعْدَ تَضْيِيعِ مَا غَرَسْتُهُ
وَتَقْضَى مَا أَسَسْتُهُ فَإِنَّ الْوَدَادَ غَرَسَ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ ثَرَى ثَرِيًّا وَمَاءَ
رَوْيَا لَمْ يُرَجْ زَكَوُّهُ وَلَمْ يَجْرِ مَآوُهُ وَلَمْ تَتَفَتَّحْ أَزْهَارُهُ وَلَمْ تَجْرُ

ثِمَارُهُ وَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ مَلَكَتُ الضَّلَالُ قِيَادِي حَتَّى أَشْكَلَ عَلَى
مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُتَمَارِجَانِ وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ الْمُتَالِفَانِ وَهِيَ مُمَارَجَةٌ
طَبَعَ وَمُؤَافَقَةٌ شَكْلٌ وَخُلِقَ وَمُطَابَقَةٌ حَيْمٌ وَخُلِقَ وَمَا وَصَلْتُنَا حَالَ
جَمَعْتُنَا عَلَى ائْتِلَافٍ وَحَمَمْتُنَا مِنْ اخْتِلَافٍ وَنَحْنُ فِي طَرْفِي ضِدِّيْنِ
وَبَيْنَ أَمْرَيْنِ مُتَبَاعِدَيْنِ وَإِذَا حَصَلَتْ الْأَمْرُ وَجَدْتَ أَدْنَى مَا بَيْنَنَا
مِنَ الْبُعَادِ أَكْثَرَ مِمَّا بَيْنَ الْوَهَادِ وَالنُّجَادِ وَأَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْبَيَاضِ
وَالسَّوَادِ وَأَيْسَرَ مَا بَيْنَنَا مِنَ النَّفَارِ أَكْثَرَ مِمَّا بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ.

وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني من رسالة
إلى أبي نصر بن المرزبان

كُنْتُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ أَتَمَنَّى
لِلْكِتَابِ الْخَيْرَ وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُدِرَّ عَلَيْهِمْ أَخْلَافَ الرُّزْقِ وَيَمُدَّ
لَهُمْ أَكْنَافَ الْعَيْشِ وَيُوطِّنُهُمْ أَغْرَافَ الْمَجْدِ وَيُؤَيِّتِيَهُمْ أَصْنَافَ
الْفَضْلِ وَيَرْكَبَهُمْ أَكْنَافَ الْعِزِّ وَقَضَارَى أَنْ أَرْغَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى
فِي أَنْ لَا يُنِيلَهُمْ فَوْقَ الْكِفَايَةِ وَلَا يَمُدَّ لَهُمْ فِي حَبْلِ الرِّعَايَةِ
فَشَدَّ مَا يَنْظُرُونَ مِنْ عَالٍ بِمَا يَنْظُمُونَ مِنْ حَالٍ وَيَجْمَعُونَ مِنْ مَالٍ
وَتُنْسِيَهُمْ أَيَّامَ الدُّنْيَةِ أَوْقَاتَ الْخُشُونَةِ وَأَزْمَانُ الْعُدُوبَةِ سَاعَاتِ

الصُّعُوبَةِ وَلِلْكِتَابِ مَزِيَّةٌ فِي هَذَا الْبَابِ فَبَيْنَا هُمْ فِي الْعُطْلَةِ إِخْوَانٌ
 كَمَا انْتَضَمَ السَّمَطُ وَفِي الْعُزْلَةِ أَعْوَانٌ كَمَا انْفَرَجَ الْمَشْطُ حَتَّى لَحَظَهُمُ
 الْجَدُّ لِحْظَةً حَقْمَاءَ بِمَنْشُورِ عِمَالَةٍ أَوْصَكَ جِعَالِيَةً فَيَعُودُ عَامِرٌ
 وَدَهُمُ خَرَابًا وَيَنْقَلِبُ شَرَابٌ عَهْدِيهِمْ سَرَابًا فَمَا عَلَتْ أُمُورُهُمْ حَتَّى
 أَسْبَلَتْ سُسُورُهُمْ وَلَا عَلَتْ قُدُورُهُمْ إِلَّا خَلَتْ بُدُورُهُمْ وَلَا اتَّسَعَتْ
 دُورُهُمْ إِلَّا ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ وَلَا أَوْقَدَتْ نَارُهُمْ إِلَّا انْطَفَأَ نُورُهُمْ
 وَلَا زَادَ مَالُهُمْ إِلَّا نَقَصَ مَعْرُوفُهُمْ وَلَا وَرِمَتْ أَكْيَاسُهُمْ إِلَّا وَرِمَتْ
 أَنْوْفُهُمْ وَلَا صَلَحَتْ أَحْوَالُهُمْ إِلَّا فَسَدَتْ أَفْعَالُهُمْ وَلَا حَسُنَتْ
 حَالُهُمْ إِلَّا قُبِحَتْ خِلَالُهُمْ وَلَا فَاضَ جَاهُهُمْ إِلَّا غَاضَتْ مِيَاهُهُمْ
 وَلَا لَانَتْ بُرُودُهُمْ إِلَّا صَلَبَتْ حُدُودُهُمْ وَلَا عَلَتْ جَدُودُهُمْ إِلَّا سَفَلَتْ
 جُودُهُمْ وَلَا طَالَتْ أَيْدِيهِمْ إِلَّا قَصُرَتْ أَيْادِيهِمْ وَقَصَارَى أَحَدِهِمْ مِنْ
 الْمَجِيدِ أَنْ لَا يَخْرُجَ مَا لَهُ مِنْ عَهْدَةٍ خَاتِمِهِ إِلَّا يَوْمَ مَا تَمَّ فَهُوَ
 يَجْمَعُ لِحَادِثِ حَيَاتِهِ أَوْ وَارِثِ مَمَاتِهِ يَسْلُكُ فِي الْغَدْرِ كُلِّ طَرِيقٍ
 وَيَبِيعُ بِالدَّرْهِمِ أَلْفَ صَدِيقٍ.

فَضْلٌ

فِي الدُّعَاءِ

قَالَ أَعْرَابِيٌّ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَالْجِلْدَ بَارِدٌ وَالنَّفْسَ رَطْبَةً وَاللِّسَانَ مُنْطَلِقًا
وَالصُّحُفَ مَنْشُورَةً وَالْأَقْلَامَ جَارِيَةً وَالتَّوْبَةَ مَقْبُولَةً وَالتَّضَرُّعَ مَرْجُوعًا
قَبْلَ أَنْ يَفْرُقَ وَحْشُكَ النَّفْسَ وَعَلَزَ الصَّدْرَ وَتَزَيَّلَ الْأَوْصَالَ وَتُصَوِّلَ
الشَّعْرَ وَاجْتَنَيْتَ التُّرَابَ وَقَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ حِينَ
يَقْنَى الْأَجَلُ وَيَنْقَطِعُ الْعَمَلُ أَغْنَى عَلَى الْمَوْتِ وَكُرْبَتِهِ وَعَلَى الْقَبْرِ
وَعُمَّتِهِ وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخَفَّتِهِ وَعَلَى الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَرَوَعَتِهِ اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً لَا تُعَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدْعُ كَرْبًا اغْفِرْ لِي جَمِيعَ
مَا افْتَرَضْتَ عَلَيَّ وَلَمْ أُوَدِّهِ إِلَيْكَ اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا ثُبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ
ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ يَا رَبِّ تَظَاهَرَتْ عَلَيَّ مِنْكَ النِّعَمُ وَتَدَارَكَتْ عِنْدَكَ
مِنِّي الذُّنُوبُ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرَتْ وَأَسْتَغْفِرُكَ
لِلذُّنُوبِ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرَتْ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ
الَّتِي تَدَارَكَتْ وَأَمْسَيْتَ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ

فَقِيرًا اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْأَمَلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ اللَّهُمَّ
اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا وَلِيَ أَجَلِي اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا
أَعْطَيْتَهُمْ شَكَرُوا وَإِذَا ابْتَلَيْتَهُمْ صَبَرُوا وَإِذَا أَدَكْرْتَهُمْ ذَكَرُوا وَاجْعَلْ
لِي قَلْبًا تَوَّابًا أَوْابًا لَا فَاجِرًا وَلَا مُرْتَابًا اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا
أَحْسَنُوا زَادُوا وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا اللَّهُمَّ لَا تَحْقُقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ
وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ أَدْعُوكَ دُعَاءَ ضَعِيفٍ عَمَلُهُ مُتَظَاهِرَةٌ ذُنُوبُهُ
صَنِينٌ عَلَى نَفْسِهِ دُعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ ضَعِيفٌ وَمُنْتَهُ عَاجِزَةٌ قَدْ انْتَهَتْ
عِدَّتُهُ وَخَلَقْتَ جَدَّتَهُ وَتَمَّ ظَمُؤُهُ اللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ
وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنْصَا أَدْعُوكَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طُولِ النَّسِيئَةِ وَإِسَاعَةِ
الرِّيقِ وَتَأْخِرِ الشَّدَائِدِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى جَلَمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ عَفْوِهِ
بَعْدَ قُدْرَتِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُوْدِي قَتِيلُهُ وَلَا يَخِيبُ سَائِلُهُ
وَلَا يَرُدُّ رَسُولُهُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ إِلَّا إِلَيْكَ وَمِنَ الذَّلِّ
إِلَّا لَكَ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا أَوْ أَغْشَى فَجُورًا أَوْ أَكُونَ بِكَ
مَغْرُورًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخَيْبَةِ الرَّجَاءِ
وَزَوَالِ النِّعْمَةِ.

وقال أعرابيٌّ غيره

اللَّهُمَّ اسْتَغْفِرِي إِيَّاكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِي لِلَّوْمِ وَإِنْ تَرَكِي الْإِسْتِغْفَارَ

مَعَ مَعْرِفَتِي بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ لَعَجَزُ إِلَى كَمْ تَجَبَّيْتُ إِلَى بِنِعْمَتِكَ وَأَنْتَ
غَنِيٌّ غَنِيٌّ وَكَمْ أَتَبَغَّضُ إِلَيْكَ بِذُنُوبِي وَأَنَا فَقِيرٌ إِلَيْكَ سُبْحَانَ مَنْ
إِذَا تَوَعَّدَ عَفَا وَإِذَا وَعَدَ وَفَى.

وقال آخر

اَللّٰهُمَّ اِنْ ذُنُوبِيْ اِلَيْكَ لَا تَضُرُّكَ وَاِنْ رَحْمَتِكَ اِيَّايَ لَا تَنْقُصُكَ
فَاَغْفِرْ لِيْ مَا لَا يَضُرُّكَ وَهَبْ لِيْ مَا لَا يَنْقُصُكَ.

فَضْلٌ

فِي الْقَوْلِ عِنْدَ الْوُقُوفِ عَلَى الْقُبُورِ

قَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ

وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَدَوْتُكَ رَضِيْعًا وَفَقَدْتُكَ سَرِيْعًا وَكَأَنَّهُ لَمْ
يَكُنْ بَيْنَ الْحَالَيْنِ مُدَّةٌ أَلْتَدُّ بِغَيْشِكَ فِيهَا فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النُّصَارَةِ
وَالْقَضَارَةِ وَرَوْنَقِ الْحَيَاةِ وَالتَّنَسُّيمِ مِنْ طَيْبٍ رَوَّاجِحَهَا تَحْتِ طِبَاقِ
الثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا وَرَفَاتًا سَحِيْقًا وَصَعِيدًا جُرُزًا أَيْ بُنَيَّ لَقَدْ
سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ الْفَنَاءِ وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْبَلَى وَرَمَتْنِي
بَعْدَكَ نَكْبَةً الرَّدَى أَيْ بُنَيَّ لَقَدْ أَسْفَرَ لِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحُ
دَاجٍ ظَلَامُهُ أَيْ رَبِّ وَمِنْكَ الْعَدْلُ وَمِنْ خُلْفِكَ الْجُودُ وَهَبْتَهُ لِي قُرَّةَ
عَيْنٍ فَلَمْ تَمْتَعْنِي بِهِ كَثِيرًا بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشِيكًا ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ
وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ فَصَدَّقْتَ وَعْدَكَ وَرَضِيتَ قَضَاءَكَ اللَّهُمَّ
أَضْرَحْمْ غُرْبَتَهُ وَأَنْسِ وَخْشَتَهُ وَاسْتَرْ عَوْرَتَهُ يَوْمَ تَنْكَشِفُ الْهَنَاتُ
وَالسُّوءَاتُ أَيْ بُنَيَّ إِنِّي قَدْ تَزَوَّدْتُ لِسَفَرِي فَلَيْتَ شِعْرِي مَا زَادَكَ
لِبُعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمَ مَعَادِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَهُ الرِّضَى بِرِضَايَ عَنْهُ

أَيُّ بُنَى اسْتَوْدَعْتُكَ مَنِ اسْتَوْدَعْنِيكَ فِي أَحْشَائِي جَنِينًا وَاثْكَلِ
الْوَالِدَاتِ مَا أَمْضَى حَرَارَةَ قُلُوبِهِنَّ وَأَقْلَقَ مَضَاجِعَهُنَّ وَأَطْوَلَ لَيَالِهِنَّ
وَأَقْصَرَ نَهَارَهُنَّ وَأَقْلَى أَنْسَهُنَّ وَأَشَدَّ وَحْشَتَهُنَّ وَأَبْعَدَهُنَّ مِنَ السَّرُورِ
وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ الْأَحْزَانِ.

وقالت امرأة الاحنف بن قيس^(١)

لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ مُجَنٍّ فِي جُنَيْنٍ وَمُدْرَجٌ فِي كَفَنِ نَسَأَلُ الَّذِي
فَجَعَنَا بِمَوْتِكَ وَابْتَلَانَا بِفَقْدِكَ أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ الْخَيْرِ سَبِيلَكَ
وَدَلِيلَ الرُّشْدِ دَلِيلَكَ وَأَنْ يَوْسَعَ لَكَ فِي قَبْرِكَ وَيَغْفِرَ لَكَ يَوْمَ
حَشْرِكَ قَوْلَ اللَّهِ لَقَدْ كُنْتُمْ فِي الْمَحَافِلِ شَرِيفًا وَعَلَى الْأَرْامِلِ
عُطُوفًا وَلَقَدْ كُنْتُمْ فِي الْحَقِّ مُسَوِّدًا وَإِلَى الْخَلِيفَةِ مُوقِدًا وَلَقَدْ
كَانُوا لِقَوْلِكَ مُسْتَمِعِينَ وَلِرَأْيِكَ مُتَّبِعِينَ لَقَدْ عِشْتَ حَمِيدًا مَوْدُودًا
وَمُتَّ سَعِيدًا مَفْقُودًا.

(١) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين الرزي السعدي المنقري التيمي
أبو بحر سيد تميم وأحد العظماء الدهاء الفصحاء الشجعان الفاتحين يضرب به المثل
في الحلم. ولد سنة ٣ ق. هـ / ٦١٩ م ومات سنة ٧٢ هـ / ٦٩١ م.
انظر المزيد في: طبقات ابن سعد ٦٦ / ٧، وفيات الأعيان ١ / ٢٣٠، ذكر أخبار
أصفيهان ١ / ٢٢٤، جمهرة أنساب العرب ٢٠٦، تهذيب ابن عساكر ٧ / ١٠، تاريخ
الخميس ٢ / ٣٠٩.

وقال حيَّان بن سلمى على قبر عامر بن الطفيل^(١)

إِنَّمْ ظَلَامًا يَا أَبَا عَلِيٍّ بَطِينًا بِوَعِيدِكَ وَكُنْتَ لَا تَضِلُّ حَتَّى
يَضِلُّ النُّجْمُ وَلَا تَهَابُ حَتَّى يَهَابَ اللَّيْسُ وَلَا تَغْطُشُ حَتَّى
يَغْطُشَ الْبَعِيرُ وَكَنَّ خَيْرَ النَّاسِ حِينَ لَا تَنْظُنُّ نَفْسٍ خَيْرًا.

(١) هو عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري من بني عامر بن صعصعة فارس قومه وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية. كنيته أبو علي ولد سنة ٧٠ ق. هـ/ ٥٥٤ ونشأ بنجد وكان يامر منادياً في "عكاظ" ينادى: هل من راجل فتحمله؟ أو جائع فنظعه؟ أو خائف فنؤمّنه. وخاض المعارك الكثيرة، وأدرك الإسلام شيخاً، فوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المدينة بعد فتح مكة، يريد الغدر به، فلم يجزؤ عليه فدعاه إلى الإسلام، فاشتراط أن يجعل له نصف ثمار المدينة، وأن يجعله ولي الأمر من بعده، فردّه، فعاد حقناً وسمعه أحدهم يقول: لأملئ خيلاً جرداً ورجالاً مردّاً ولا ربطن بكل نخلة فرساً فمات في إحدى وقائعه، عقيماً لا يولد له. وهو ابن عم لبيد الشاعر، أخباره كثيرة متفرقة.

انظر المزيد في: خزانة البغدادي ١/ ٤٧١ - ٤٧٤، رغبة الأمل ٢/ ١٧٦ ثم ٨/ ١٦٥ و ٢٤٣، التبريزي ١/ ٨١ ثم ٢/ ١٢١، الشعر والشعراء ١١٨، الإصابة ٦٥٥٠، البيان والبيان ١/ ٣٢، المحبر ٢٣٤ و ٤٧٢، ثمار القلوب